1. مقاصد البناء الحضاري في ضوء تفسير القصص القرآني وتطبيقاته المعاصرة

Objectives of Civilizational Development in Light of the Interpretation of Quranic Stories and Their Contemporary Applications

Author

✍

Abdulwahab Amer

Department of Islamic Political Sciences, Academy of Islamic Studies, University of Malaya, Malaysia, almurshed@um.edu.my, ***ORCID: 0009-0002-8065-4102***

Progress Received: 20 March 2025, Revised: 20 April 2025, Accepted: 1 May 2025, Published:20-6- 2025

Abstract:

This study explores the concept of the civilizational interpretation of the Qur'an as a reformist approach to understanding Qur'anic texts in light of divine social laws and higher objectives (maqāṣid al-sharīʿah), highlighting its role in the civilizational reconstruction of the Muslim ummah. The research stems from the contemporary need for an interpretation that addresses modern human challenges and connects Qur'anic revelation with lived realities by uncovering divine laws (sunan) within history and society. Employing analytical, and inductive, the study examines prominent Qur'anic narratives—such as those of Moses, Joseph, and Dhul-Qarnayn (peace be upon them)—to identify their civilizational components within the framework of vicegerency (istikhlāf), development (ʿumrān), and empowerment (tamkīn). The study concludes that the civilizational approach activates the Qur'an's developmental function and is deeply intertwined with shaping societal awareness and formulating a comprehensive revival project that integrates spiritual, ethical, material, and institutional dimensions.

Keywords: Civilizational Interpretation, Maqāṣid, Divine Laws, Qur'anic Narratives, Revival.

الملخص:

يتناول هذا البحث نماذج في مقاصد البناء الحضاري في ضوء تفسير القَصص القرآني وتطبيقاته المعاصرة بوصفه مدخلًا تجديديًا لفهم النصوص القرآنية في ضوء السنن الاجتماعية والمقاصد الشرعية، وبيان دوره في إعادة بناء الأمة حضاريًا، وينطلق البحث من الحاجة المعاصرة إلى تفسير مقاصدي يعالج مشكلات الإنسان الحديث، ويربط النص القرآني بالواقع المعيش من خلال استقراء السنن الإلهية في التاريخ والمجتمع، وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الاستقرائي؛ من خلال استقراء نماذج في القصص القرآني، قصة موسى، ويوسف، وذي القرنين عليهم السلام، وتحليل مكوناتها الحضارية في ضوء مقاصد الاستخلاف والعمران والتمكين، وتوصل البحث إلى أن التفسير الحضاري لمقاصد القصة القرآنية يتيح بناء وعي مجتمعي إسلامي وصياغة مشروع نهضوي شامل يدمج بين البعد الروحي والقيمي والبناء المادي والمؤسسي للمجتمع.

الكلمات المفتاحية: المقاصد، البناء الحضاري، التفسير، القَصص القرآني، التطبيقات المعاصرة.

المقدمة:

القرآن الكريم كتاب هداية شامل ومشكاة إشعاع فكري وروحي للإنسان، ومصدر لبناء الحضارة والعلوم والمعارف، ويحمل بين دفتيه إشعاعًا فكريًا وروحيًا يوجه الإنسان نحو معرفة خالقه وصفاته العُليا، ويهديه إلى السبل التي تحقق صلاح الفرد والمجتمع، وهو معجزة خالدة تتجدد معانيها مع تغير الأزمنة وتطور الحضارات، وهو منهج متكامل لتنظيم حياة الإنسان في جميع مجالاتها، فقَصص القرآن الكريم يرشد الأمة إلى إقامة العدل، وإعمار الأرض، وتحقيق التنمية الشاملة التي تعزز كرامة الإنسان وتضمن الاستقرار والرُقي، وبالقرآن يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته، وبه يُعرف الخالق جل وعلا، ويُعرَف به الطريق الموصلة إلى الآخرة (السعدي، **تيسير الكريم الرحمن**، 2000 م ، ص: 190).

وفيه تزكية للنفوس وهداية عالمية في جميع مجالات الحياة، ومع تغير الظروف والأوضاع وعلو الحضارات وضعفها برزت الحاجة إلى أضواء في تفسير القصة القرآنية تبرز البعد الحضاري والتطبيقي في القضايا الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها لبناء المجتمعات الإسلامية واستنهاض المسلمين نحو الفاعلية الحضارية، ومعالجات التحديات المعاصرة في تقديم حلول عملية، في بناء مجتمعات متوازنة ومستدامة في إطار تطورات العصر ومستجدات النوازل بضوابط الشريعة الإسلامية؛ وإصلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية، بإصلاح الاعتقاد وتهذيب النفس وتزكيتها والتخلق بالأخلاق الحسنة، والإصلاح الجماعي والفردي إذ الأفراد أجزاء المجتمع، وضبط تصرف الناس بعضهم مع بعض على وجه يعصمهم من مزاحمة الشهوات ومواثبة المغريات، للمساهمة في حفظ النظم في العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات في الأوطان بعضهم مع بعض؛ على وجه يحفظ مصالح الجميع، ويرعي المصالح الكلية، ويؤكد المصلحة الجامعة (ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، 1984، ٣٨/١)، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]، فقد أنزل الله القرآن الكريم لتحقيق غاية وجود الإنسان ومراد الله من استخلافه في الأرض، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: 56]، يقول أبو السعود العمادي: " إن الغايةَ القصوى من تحرير نسخة العالم وما

كان حرف منها مسطورا والحكمة الكبرى في تخمير طينة آدم ولم يكن شيئا مذكورا ليست إلا معرفة الصانع المجيد وعبادة البارئ المبدئ المعيد، ولا سبيل إلى ذاك المطلب الجليل سوى الوقوف على مواقف التنزيل؛ فإنه عز سلطانه وبهر برهانه، وإن سطر آيات قدرته في صحائف الأكوان ونصب رايات وحدته في صفائح الأعراض والأعيان، وجعل كلُّ ذرةٍ من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات العلم؛ وكل نقطة جرى عليها قلم الإبداع وكل حرف رقم في لوح الاختراع - مرآةً لمشاهدةِ جماله ومطالعةِ صفات كماله، حُجَّةٌ نيّرةٌ واضحة المكنونِ، وآيةٌ بيّنة لقومٍ يعقلون، برهانا جليا لاريب فيه ومنهاجا سويا لا يضِلّ من ينتحيه، بل ناطقا يتلو آيات ربه فهل من سامع واعٍ ومجيب صادق" (أبو السعود ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، ج1، ص 4)، ومن أهم ما يمكن أن نقرأه قراءة حضارية ومقاربة حضارية هو قصص الأنبياء ؛ لتهدينا كيف نبني حضارة وكيف نحافظ عليها على اختلاف مراحلها؛ مرحلة الانطلاق، ومرحلة القوة، ومرحلة الضعف ومرحلة العودة والاستئناف، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: 140]، ويستند البحث إلى رؤية قرآنية مقاصدية تؤكد أن التحضر الحق لا يقوم إلا على أساس العقيدة الصحيحة، والإيمان الراسخ، والتدبير النافع، والعدل الشامل، والعلم الواعي، والتنمية المتوازنة.

أولاً: إشكالية البحث:

في ظل التحولات الاجتماعية والسياسية والفكرية المتسارعة، حدثت تساؤلات لمشكلات فردية وجماعية شهدها العالم المعاصر، أبرزت الحاجة الماسة إلى تناول البُعد الحضاري للقصة القرآنية، وإعادة اكتشاف دلالاته المتجددة في البناء الحضاري ومعالجة التحديات المعاصرة في شتى المجالات الفكرية، الاقتصادية، الاجتماعية، والسياسية وغيرها، بفهم وتنزيل مدلولاتِ قصص القرآن الكريم في واقع الحياة؛ لتقديم حلول عملية تربط النص القرآني بمتطلبات المجتمعات الحديثة، وتساهم في بناء مجتمعات متوازنة تحقق التنمية المستدامة والنهوض الحضاري للأمة الإسلامية، بإبرازِ مقاصد تفسير القصص القرآني الكبرى، لا سيما مقصد الاستخلاف في الأرض، وإعمال السنن الإلهية في المجتمعات والأمم، وتوظيف المبادئ الحضارية في

النص القرآني في بناء المجتمعات الإسلامية ؛ كون القرآن الكريم كتاب هداية شامل، يحمل بين دفتيه أوامر وأحكامًا لبناء الإنسان والمجتمعات وإقامة الحضارات، والتركيز على الكشف عمَّا نزل به القرآن الكريم من مقاصد عامة وخاصة، كلية وجزئية، للإصلاح الفردي والجماعي والعمراني، وبيان المصالح التي جاء بها القرآن الكريم، ومنهجه في معالجة القضايا الإنسانية، وهدايته إلى ما فيه خير وفضيلة في القول والعمل، والتَّفكير الصَّائب، والقوْل السَّديد، والقُدرة على حلِّ العقبات وتجاوُز معيقات الواقع، وتكمن إشكالية البحث في استكشاف كيفية تطوير منهج البناء الحضاري في القصص القرآني ليحقق الاهتداء بالقرآن الكريم، ومن خلاله يستنبط معانيَ قرآنية تدعم تطلعات المسلمين في تحقيق تقدم حضاري مستدام، قادر على مواجهة التحديات وتحقيق الاستخلاف.

ثانياً: أسئلةُ البحثِ:

1. مَا مفهومُ مقاصدِ التفسير للقصةِ القرآنية في إطار البناء الحضاري؟
2. ما هي أهم مقاصد البناء الحضاري في ضوء تفسير القصص القرآني؟
3. كيف يسهم التفسير لقصص القرآن الكريم في توجيه الأمة نحو بناء حضارة معاصرة؟

ثالثاً: أهداف البحث:

1. بيانُ مفهوم مقاصد التفسير للقصة القرآنية في البناء الحضاري.
2. إبراز مقاصد البناء الحضاري في ضوء تفسير القصص القرآني، بأبعاده الأخلاقية والسياسية والاجتماعية، والاقتصادية والحضارية.
3. تحليل القصص القرآني: (موسى، وذي القرنين، ويوسف، عليهم السلام، ودلالاتها في البناء الحضاري في (الاستنهاض الحضاري، والاستخلاف الحضاري، والاستدامة الحضارية).

رابعاً: منهجية البحث:

المنهجُ الوصفيُّ التحليليُّ: بتحديدِ مفهوم البناء الحضاري في ضوءِ تفسير القصة القرآنية بمنهج قويم يؤصل للفكرة، ويظهر النفع، يستفيد من الواقع، ويبني المفاهيم باستعراضِ الأسس وتحليل السماتِ، التي توقظ الأمة وتنبيهها من غفلتها وتحصينها بالنافع المفيد.

المنهج التطبيقي التفسيري: بدراسة نماذج من قَصص القرآن الكريم؛ لاستنباط دلالاته الحضارية وتطبيقها في السنن الاجتماعية الجارية، واقتراح آليات عملية لتطبيق نماذج من القصص في القرآن الكريم، وتجسيدها في الواقع وترجمتها إلى عمل صالح ينفع المجتمع.

خامساً: الدراسات السابقة:

في ظل التحولات الحضارية المعاصرة وتغير الظروف الاجتماعية والفكرية والاقتصادية، برزت الحاجة الملحة بيان البعد التطبيقي للبناء الحضاري في ضوء تفسير القَصص القرآني وتقدمه كمنهج حياة قادر على التفاعل مع التحديات الراهنة واستنهاض الأمة الإسلامية نحو تحقيق الفاعلية الحضارية وبيانها على النحو الآتي:

1. شلبي، أيمن عبد اللطيف، **البناء الحضاري في القصص القرآني** (الأردن: الجامعة الأردنية، رسالة دكتوراة في التفسير، 2012)

تناولت الدراسة مفهومَ البناء الحضاري في قَصصِ القرآن الكريم، إذ ركّزت على تحليل عدد من النماذج القرآنية من أجل إبراز مقومات البناء الحضاري المتمثلة في الاعتقاد السليم، وسمو الأخلاق، والإعداد المادي، والروح الجماعية، وقيمة العلم، وقد أوضحت الدراسة أهمية الشمولية في الفهم، والواقعية في الطرح، والمرونة في التطبيق، كما ناقشت بعض المعوّقات الكبرى، مثل الطغيان السياسي ومقدمة وآليات تجاوزها، اعتمدت الدراسة منهجًا استقرائيًا تحليليًا مقارنًا، وركزت على الجانب التأصيلي والتحليلي للقَصص، إلا أنها أغفلت هذه المقاصد في الواقع المعاصر، وما تسعى إليه الدراسة بيان القيم القرآنية في معالجة قضايا العصر، مع اقتراح حلول عملية واقعية.

2. الصرايرة، طالب محمد عبد القادر، **البناء الحضاري في سورة يوسف- عليه الصلاة والسلام**- المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية، المجلد السادس العدد 2، 2010م)

تناولتْ الدراسةُ مفهومَ البناء الحضاري من خلال تحليل قصة يوسف- عليه السلام- كنموذج للرسالات النبوية التي تحمل إرادة الإصلاح ومقوماته، وتناولت الدراسة مقومات رئيسة؛ وهي: الإنسان، والفكر، والأشياء، وأكدت على ضرورة التوازن بينها لضمان الاستمرارية والتقدم، وأبرزت الدراسة دور الإنسان المؤهل حضاريًا في حكم المجتمع، وأهمية الأشياء أو الموارد المادية في اكتمال الصورة الحضارية، كما تناولت التمكينَ الحضاري وإصلاحَ المجتمع وقدمت نموذجا حيًا لقيادة يوسف- عليه السلام- جمع بين العلم والمعرفة والتخطيط والاستدامة، إلا أن الدراسة لم تتناول كيفية استثمار مقاصد التفسير الحضاري لقصص القرآن الكريم في التطبيقات المعاصرة.

3. الإبراهيم، خالد كمال، **القيم الحضارية في القصة القرآنية دراسة موضوعية** (الأردن: رسالة دكتوراة قسم أصول الدين جامعة اليرموك، 2013)

تتناول هذه الدراسة موضوع القيم الحضارية كما تتجلى في القصص القرآني، وإبراز دور القصة القرآنية في تهذيب النفوس وإعداد الإنسان ليكون عنصرًا فَاعِلًا في المجتمع، مركّزة على تحليل القيم التي تسهم في بناء الحضارة الإنسانية، مثل: العدل، والحرية، والشورى، والإحسان، والعمل، والصبر، واعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الوصفي، وأبرزت الدراسة دور القصة القرآنية في غرسِ القيم في النفوس كقيم العدل والتسامح والصبر والعمل بوصفها ركائز للبناء الحضاري، وبيّنت كيف تسهم هذه القيم في تحقيق نهضة الأمم وإصلاح المجتمعات، ولم تتناول الدراسة بشكل تفصيلي منهجية تفسير هذه القيم وفق مقاصد الشريعة، ولم تُفردْ مساحة كافية للحديث عن كيفية تطبيق هذه القيم عَمَلِيًا في الواقع المعاصر، وتُقدّم الدراسة مقاربة منهجية تربط بين القيم القرآنية ومقاصد الشريعة، ومن التحليل النظري إلى تقديم نماذج عملية لتطبيق هذه القيم في قضايا معاصرة.

المقارنة بين الدراسات:

الدراسة الأولى جاء فيها تفسير مفاهيم ومقومات البناء الحضاري وأكدت أهمية البناء الحضاري في بناء الحضارات الإيمانية والمادية من خلال تحليل أحداث القصص القرآني، واعتبرت القصة القرآنية مرجعًا فاعلا يتوجبُ معرفته لإعادة المجد للأمة الإسلامية، وفي **الدراسة الثانية** نموذج نبوي يُضيء طريق الأمم نحو الارتقاء الحضاري بالعمل الصالح، وتقديم تحليل لقصة يوسف والانطلاق الجاد إلى العمل الصالح والإصلاح المستديم وفي **الدراسة الثالثة** جاءَ بيانُ القيم المعنوية والمادية في بناء الحضارات، مع التأكيد على أن جوهر القيم يقوم على التوحيد الخالص لله تعالى، مبرزًا كيفَ يقومُ المنهج القرآني على الارتقاء بالأمة من خلال وحدة الغاية والتآلف القلبي بين المؤمنين كدافعٍ رئيسي للنهضةِ الحضارية، وبيانها في الجدول على النحو الآتي:

الدراسة	الموضوع الأساسي	أهم ما تناولته	القصور البحثي
البناء الحضاري في القرآن الكريم.	البناء الحضاري في القرآن من خلال بيان مفاهيمه ومقوماته.	المنهج القرآني يقوم على الارتقاء الحضاري، والتأكيد على وحدة الغاية التي تربط قلوب المؤمنين لتكون الدافع الضابط لنهضة الأمة.	لم يقدم قراءة تطبيقية تربط البناء الحضاري القرآني بالقضايا والتحديات المعاصرة.
البناء الحضاري في سورة يوسف.	البناء الحضاري من خلال تحليل سورة يوسف- عليه السلام- كنموذج تطبيقي.	عرضت الدراسة البناء الحضاري في سورة يوسف؛ بوصفها أنموذجاً من الرسالات النبوية التي تُمثِّلُ النور الحضاري للأمم، والانطلاق الجاد إلى العمل الصالح.	أغفل البحث المقارنة في أسس البناء الحضاري التي دعت اليها القصة وتطبيقها في الواقع.
القيم الحضارية في القصة القرآنية.	هدفت هذه الدراسة إلى إبراز أهم القيم المعنوية والمادية التي تميز الحضارات الإيمانية وغير الإيمانية من خلال أحداث القصة القرآنية.	العناية بالقصة القرآنية باعتبارها المرجع التاريخي الصادق للأمم السابقة والعمل على إعادة المجد والرفعة لأمتنا الإسلامية، وأن القيم وجدت للإنسان في معتقده وفكره وعمله، وهي قائمة على أساس التوحيد الخالص لله تعالى.	لم يعالج بشكل كافٍ كيفية تحويل هذه القيم إلى تطبيقات عملية معاصرة.

سادساً: هيكل البحث:

العنوان: مقاصد البناء الحضاري في ضوء تفسير القصص القرآني وتطبيقاته المعاصرة

المقدمة:

(إشكالية البحث، تساؤلات البحث، أهداف البحث، منهجية البحث، الدراسات السابقة، هيكلة البحث).

أولا: ماهية مقاصد البناء الحضاري في ضوء تفسير القصص القرآني.

ثانيا: مقاصد البناء الحضاري في ضوء تفسير القصص القرآني.

ثالثا: البناء الحضاري في ضوء تفسير القصص القرآني وتطبيقاته المعاصرة.

رابعا: الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

أولا: ماهية مقاصد البناء الحضاري في ضوء تفسير القصص القرآني:

مقاصد البناء الحضاري في ضوء تفسير القصص القرآني يأتي استجابة لحاجة الأمة في قراءة القرآن الكريم من زاوية مقاصدية حضارية تستحضر السنن الإلهية في الاجتماع البشري، وتطبيقها في الواقع المعاصر بعد إدراك معانيها ومعرفة مراد الله تعالى منها، فالمقاصد تعني الوقوف على المعاني والحِكم (ابن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، 2004 ، 2/ 21) والغايات التي تهدف النصوص لتحقيقها في حياة المكلفين أفرادا وأسرا وجماعات وأمة (القرضاوي، دراسة **في فقه مقاصد الشريعة بين الكلية والنصوص الجزئية** ص 20)، وباستقراء النصوص الدالّة على مقاصدها التشريع من كلّيات الشريعة ومن جزئيّاتها وعمومها وخصوصها والقطعي والظني من دلائلها، والتأكيد على أنّ المقصد العامّ من التشريع إصلاح الإنسان، وإصلاح الأرض، وحفظ النظام، وتدبير المنافع' قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: 142]، يقول ابن عاشور " إذا نحن استقرينا موارد الشريعة الإسلامية الدالة على مقاصدها من التشريع استبان لنا - من كليات دلائلها، ومن جزئياتها المستقرأة - أن المقصدَ العامَ من التشريع فيها هو حفظ نظام الأمة، واستدامة صلاحه بصلاح المهيمن عليه وهو نوع الإنسان، ويشمل صلاحه وصلاحَ عقله وصلاحَ عمله وصلاحَ ما بين يديه من موجودات العالم الذي يعيش فيه" (المرجع السابق ، 3/ 194)، وتمكين الإنسان من تحقيق وجوده بذاته الفردية وهيئته الاجتماعية بما يفضي إلى السعادة في الدنيا والآخرة (النجار، **مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة** ، 2008، ص 17)، وتوجيهه وتدبير الشأن العام بما تستقيم به الأحوال، ويحل بها التحديات ويحاط الناس بما يصلحهم (المزيني، **تجديد فقه السياسة الشرعية الشورى نموذجا**، 2013م، ص 16)، فالردع والزجر وسد أبواب الفتن والشرور وجلب المصالح ودفع المفاسد في العاجل والآجل، وتحصيل الحاجات المادية التي تستدعي التضامن والتساند على مستوى الأسرة والمجتمع والدولة والأمة بإقامة النظم النافعة التي ينضوي تحتها كل أفراد المجتمع، صونا للأعراض، والأموال، والأنفس، وإنصاف للمظلومين وقطع موارد الفساد، وَفْقًا لمقاصدِ الشريعة ومستوياتها الثلاثة الكلية، والجزئية، والخاصة، بأنواعها الضرورية، والحاجية، والتحسينية، وإبراز علل ومحاسن التشريع، وحِكمه، ومراميه في

مقصد الوحدة ومنع التباينات والاختلافات والثقافات والقوميات، ولابد من تقوية روح التوعية والتدين بأهمية الوحدة في المجتمعات المعاصرة، وبيان محاسن الاجتماع وتقوية العلاقات الاجتماعية وتخفيف الأعباء على الناس فالاستقرار الاجتماعي عامل جامع للوحدة، ومنع التباينات الثقافية والقومية وتحقيقُ مناطِ الإحاطةِ بأعرافِ النَّاس وأحوالهم المتغيرة وظروفهم المختلفة « فالإسلام يدعو إلى الألفة والتحاب والتراحم والتعاطف، فكل رأي أدى إلى خلاف ذلك فخارج عن الدين» (الشاطبي، **الاعتصام**، 2008، 3/ 170)، يقولُ العِزُّ بنُ عبدِ السَّلام: « ولو تتبعنَا مقاصدَ ما في الكتابِ والسنةِ، لَعَلِمنا أنَّ اللهَ أمر بكلِّ خيرٍ دقه وجله، وزجر عن كل شر دقه وجله، فإن الخير يعبر به عن جلب المصالح ودرء المفاسد، والشر يعبر به عن جلب المفاسد ودرء المصالح» (العز ابن عبد السلام، **قواعد الأحكام في مصالح الأنام** ، 1991 ، ج2، ص160**)**

والتفسير يعني في اللغة العربية بيان المقصود من الكلام؛ فالفَسْرُ: الْبَيَانُ؛ والتَّفْسِيْر كَشف المُراد (ابن منظور، **لسان العرب** 1414 ، ج5، ص 55)، والتفسير في الإصلاح "علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد- صلى الله عليه وسلم- وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ومعرفة أسبابِ النزولِ والناسخ والمنسوخ وما يتعلقُ بفهمِ النص القرآني (السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، 1974 ، 4/ 195)؛ في التحليل، والتحريم، والسنن الكونية وفي إقامة الدول واستقامة المجتمعات، فمراد الله تعالى منا، بيان الحِكم والدلالات في ما قصه الله تعالى في القرآنِ الكريمِ في الأخبار الماضية، وبيان أوجه الرقي، ومقارنتها بما هو حاضر والتنبؤ بالمستقبل، والبحث عن الدلالات في الجوانب الروحية والمادية والحضارية المتصلة بالتقدم والرقي الإنساني في مختلف ميادين الحياة وتشعباتها ومظاهرها، وتبيين الطرق لحياة إسلامية تراعي الروح والبدن، والعقل والفكر والعمل والسلوك والتقدم والرقي، وتلتزم الدين وتعمر الدنيا، بالنظر إلى مقاصد القرآن والاقتداء بنماذج القصص القرآني، والانطلاق من الخيرية التي وهبها الله تعالى للأمة الإسلامية والأدوار الواجب أداؤها، ثم تفصيلها على المسلمينَ إلى أن يعرف كل فرد مسلم دوره الحضاري، من خلال منهج قرآني واقعي(صبري، **نحو تفسير حضاري للقرآن الكريم** 2011، ص 17)، يركز على استنباطِ المعاني والمقاصد التي تتعلق بالبناءِ الحضاري وتوجيه المجتمعات نحو التقدم

والرقي الروحي والمادي، بمجابهة التحديات الحديثة والسياقات المعاصرة، وتقديم حلول مستمدة من القرآنِ للقضايا الراهنة، والتركيز على القيم والمبادئ والرؤى الكلية التي تربط النصوص بالواقع، وإبراز هداياتِ القرآن لبناء مجتمعات متقدمة، وإعادة عملية الإصلاح والتربية في سياق بناء الحضارة الاسلامية، التي أكدتها دلائلُ قصص القرآن الكريم في تطوير المجتمعات وتحقيق التقدم، وبناء الإنسان ليكون مفكرًا وعالمًا ومعلمًا وقائدًا وفارسًا يغير الواقع بالقرآن، فيتحدى القوة الغاشمة بإيمانه، ويكتشف الحقائق، ويكسب القلوب، ويوفر للناس المعرفة التي توضح لهم معنى حياتهم، وفضل كرامتهم، ليعيشَ المسلم على الأرض حُرًا كريمًا يعبد الله وحده، ويقوم بوظيفته في كل الميادين، (عبد الباسط بن عيسى، التفسير الحضاري للقرآن الكريم، https://www.youtube.com/watch?v=rSTUepMXVB0)، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: 9]، فالقرآنُ كتابُ هدايةٍ يأخذ بأيدي الناس؛ ليهديهم إلى الصراط المستقيم، في حدود الدين وأحكامه السماوية والربط بين النص القرآني والواقع المعيش وتفعيل الوحي في حياة الأمة؛ لاستئناف حضارة إسلامية عادلة متقدمة، تجمع بين الإيمان والعلم، وبين العبادة والعمل، وبين الروح والمادة، بمقتضيات الواقع، والشهادة على الناس، قال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 143]، فالشَّهَادةُ والحضور تتضمن الإقرار بعبودية الله وتحرير المسلم من عبودية الإنسان إلى عبودية الله، وسلوك طريق الحق العدل والعلم والرقي والتحضر (شلبي، البناء الحضاري في القصص القرآني ، 2012، ص 24، 25) ، قال تعالى : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: 78].

ثانيا: مقاصد البناء الحضاري في ضوء تفسير القصص القرآني:

نزل القرآن الكريم بمقاصد أصلية، ومقاصد عامة وخاصة، كلية وجزئية، من أجل الإصلاح الفردي والجماعي والعمراني، والهداية إلى ما فيه الخير والفضيلة والسعادة في الدنيا والآخرة، ومقاصد القرآن الكريم، كاشفة لحقائق الإسلام ومعالمه، ومرشدة إلى معانيه وقيمه، وموضحة لغاياته وآفاقه، ودالة على استنباط المعاني والمفاهيم التي تدعم رقي الإنسان وتقدمه وسعادته في الدنيا والآخرة، ومن خلال استقراء الأدلة الصريحة أو العلل الجزئية أو إشارات النصوص، التي تدعم القيم الإسلامية والبناء الحضاري، وتعزيز الإبداع والابتكار، وتحقيق التوازن بين الحفاظ على الأصول الإسلامية وتحقيق متطلبات العصر الحديث، فالقرآن الكريم يقدمُ رؤيةً مركزيةً شاملة للحياة في العقيدة، والأخلاق، والاجتماع، والسياسة والاقتصاد وكلُّ شُؤُونِ الحياة؛ بما يعزز استعادة الهوية الحضارية للأمة الإسلامية، واستخلاف الإنسان في الأرض ليعمُرها وَفْق مُراد الله، وتحقيق أحكام التنزيل وتوجيه الواقع (علي أسعد، **مقاصد قرآنية يناط بها التمكين الأسري**، 2010 ، ص 460- 465) ، فمكارمُ الشريعة مبدؤها طهارة النفس باستعمال التربية والتعلم، وممارسة العفة والصبر والعدالة، ونهايتها التخصص بالحكمة والجود والحلم والإحسان؛ فبالتعلمِ يتوصلُ إلى الحكمةِ، وبممارسة العفة يتوصلُ إلى الجود، وبممارسة الصبر تدرك الشجاعة والحلم، وبممارسة العدالة تصحح الأفعال، ويصير المسلم من الربانيين والشهداء والصديقين، والذي يلزم من تطهيره النفس قوة الفكر بتهذيبها حتى تحصل الحكمة والعلم، وقوة الشهوة بقمعها حتى تحصل العفة والجود، وقوة الحمية بإسلاسها حتى تنقاد للعقل فتحصل الشجاعة والحلم، ويتولد من اجتماع ذلك العدالة (الراغب الأصفهاني، **الذريعة إلى مكارم الشريعة الذريعة**، 2007 ، ص: 84-88)

والبعد الحضاري في البناء في ضوء تفسير القَصص القرآني ينظر إلى غايات النص القرآني لا لألفاظه فحسب، ويعتمد التدبر في فهم القرآن، ويركز على السنن الإلهية والمقاصد العامة، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: 24]، يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي : "تدبّر القرآن، واتباعه؛ هما فرق ما بين أول الأمة وآخرها وإنه لفرق هائل، فعدم التدبّر أفقدنا العلم، وعدم الاتباع أفقدنا العمل، وإننا لا ننتعش من هذه الكبوة إلا بالرجوع إلى

فهم القرآن واتباعه، ولا نفلح حتى نؤمن ونعمل الصالحات.. وإن هذه النهضة المباركة المنتشرة اليوم في الأقطار الإسلامية بشير خير بقرب رجوع المسلمين إلى هذه الهداية، لأن هذه النهضة بنيت أصولها على الدعوة إلى كتاب الله وتفهمه والعمل به" (الإبراهيمي، **آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي**، 1997، 327/1)، يقول أبو السعود العمادي عن التفطن لإشارات ودلائل القرآن الكريم : "التفطن لمعاني تلك العبارات العبقرية وما في تضاعيفها من رموز أسرار القضاء والقدر وكنوز آثار التعاجيب والعبر مما لا يطيق به عقول البشر إلا بتوفيق خلاق القوى والقدر، فإذن مدار المراد ليسَ إلا كلام رب العباد إذ هو المظهر لتفاصيل الشعائر الدينية والمفسر لمشكلات الآيات التكوينية والكاشف عن خفايا حظائر القدس والمطلع على خبايا سرائر الأنس وبه تكتسب الملكات الفاخرة وبه يتوصل إلى سعادةِ الدُّنيا والآخرةِ " (أبو السعود العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، 1/ 4)، ومقاصد البناء الحضاري في ضوء تفسير القصص القرآني يعتمد على النظرة التكاملية للنصوص القرآنية، بحيث تُقرأ النصوص في سياق موحد يعكس رؤية القرآن الشاملة للحياة؛ بالالتزام بمجموعة من الأسس الموضوعية، تركز على محاور ومبادئ ؛ ترتبط بمضامين النصوص القرآنية ودلالاتها التي تهدف إلى توجيه المجتمعات والأفراد نحو بناء حضارة متكاملة ومستدامة تقوم على إدراكِ المقاصدِ الإسلامية وتسهم في بناء المجتمعات الفاعلة، بفهم الواقع وتحليل تحدياته الفكرية، والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، وإبراز النصوص القرآنية بوصفها حلولًا عملية للمشكلات التي تواجه الأمة الإسلامية، والسمو بالإنسان عن كل ما يشين حياته من المحظورات، وإقامة الميزان بالإيمان بالله، واستعمال مكارم الشريعة؛ كالحكمة، والعدل، والحلم، والإحسان، والفضل، وسياسة الإنسان نفسه وبدنه وما يختص به، وسياسة غيره من ذويه وأهل بلده ؛ لأن السائس يجري من المسوس مجرى ذي الظل من الظل، ومن المحال أن يستوي الظل وذو الظل أعوج (الراغب الأصفهاني، **الذريعة الى مكارم الشريعة الذريعة**، 2007 ، ص: 83، 84).

وجاء القرآنُ الكريمُ بمضامينَ؛ لتخبر، أو لتأمر، أو لتنهى؛ وفي الخطابِ علمٌ وحكمٌ ومعانٍ مستنبطة قد تكون جواباً، لماذا نزل الأمر بكذا، أو النهى عن كذا، أو الخبر بكذا، فيكونُ الجواب ببيان العلة، أو الحكمة، أو المعنى، أو العبرة، وفي القرآنِ مقاصدُ عليا وعامة وغايات يمكن

تحصيلُها من مجموعِ أدلةِ الخطابِ القرآني، أو مجموعِ المعاني والحكم، أو العلل (علي أسعد، **مقاصد قرآنية يناطُ بها التمكينُ الأسري** ، ص 463) ، في مختلفِ ميادينِ الحياة وتشعباتها ومظاهرها في بناء المجتمعات بما يناسبُ الحاضر في الأقوالِ والأفعالِ والاجتماعِ، وتحقيق العبودية لله تعالى، بمفهومها الشَّاملِ وإقامة العدْل ببناء حكمٍ عادلٍ ممزوجٍ بالحكمةِ، من خلال دلائل القرآن الكريم وقصصه، فعن علي- رضي الله عنه- قال فيما يعطيه الله في فهم القرآن: «والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فَهمًا يعطى رجل في كتابه" (أخرجه البخاري ،ج9، ص 11)، برقم: 6903)، ويكون بفهم دلائل القرآن الكريم وبيان معانيه، قال أبو السعود العمادي: " بإظهار مزاياه الرائقة وإبداء خباياه الفائقة ليعاين الناس دلائل إعجازه ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه " (أبو السعود ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، 1/ 3) قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ* وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: 51، 52]، فيستحيلُ أن نكونَ أُنموذجًا للأمم إلا إذا أقمنا حضارة تكون شهادة على الناس في إقامة حضارة الإسلام، وأهم هذه المقاصد نبينها على النحو الآتي:

1. مقصد الاستخلاف والتمكين:

كتابُ الله يهدي الإنسانَ لخلافة الرحمن في أمره ونهيه، وعمارةِ أرضه والشهادة على من خلقَ، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55]، فالاستخلافُ يعني أن يُمكَّن الإنسانُ من الأرضِ ليقيمَ المصالحَ، مستندًا إلى القيم الإسلامية، والتَّعبيرُ بالتَّمكينِ للدِّلالةِ على كمالِ ثباتِ الدِّينِ ورصانةِ أحكامِه وسلامتِه من التَّغييرِ والتَّبديلِ لابتنائه على تشبيهه بالأرض في الثَّبات والقرار مع ما فيه من مُراعاةِ المُناسبة بينه وبين الاستخلافِ في الأرضِ (أبو السعود ، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، 6/ 191)، فعن أبي سعيد الخدري، عن النبي

صلى الله عليه وسلم، قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون» (أخرجه مسلم، 4/ 2098، برقم: 2742)، فالله قد جعلَ المسلمينَ خلفاءَ للقُرُوْنِ التي كانت من قبلُ لينظر هَلْ يقومونَ بطاعةِ الله ورسوله- صلى الله عليه وسلم- (النووي، **شرح النووي على مسلم**، 1392، 17/ 55)، في بناءِ مجتمعاتٍ إسلامية متقدمة ومتوازنة تحقق الفاعلية الحضارية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: 30، 31]، فجعل الله الإنسان خليفته في الأرض وهو أقدر المخلوقات بهذه الخلافة، فقد ظهرت آثار الإنسان في هذه الخلافة على الأرض، ونحن نشاهد عجائب صنعه في المعدن والنبات، وفي البر والبحر والهواء، فهو يتفنن ويبتدع ويكتشف ويخترع ويعمل (رضا، **تفسير المنار**، 1990، 1/ 217)، ويرقى ويتقدم، ويقيم الشؤون الداخلية والعلاقات الخارجيّة بالقسط والعدل ويستصحب القصصَ والتاريخَ والممالك والأمصار من جيل إلى جيل في بناء المجتمعات، والحَضَرُ: خلافُ البَدْوِ. والحاضِرُ: خِلَافُ الْبَادِي (ابن منظور ، **لسان العرب**، 1414 هـ، 4/ 197) ، فالميزان الذي يكتمل به فهم الدين؛ الفهم الصحيح، والتنزيل الرشيد، يوكل إليه مهمة العمارة، وتنمية الذات الإنسانية، واستثمار المُقدَّرات الطبيعية، على أساس أن الإنسان مستَخلَفٌ من الله تعالى، ومُوجَّهٌ بتوجيهه فيما يتعيَّنُ أن يفعلَه، وما ينبغي أن يتركَه؛ كَونُ العمرانِ الذي يُنجِزه عمراناً استخلافياً، تظهرُ فيه هذه الصفة فيما تقتضيه من الالتزام بالحدودِ التي يُحدِّدُها الدين، مع ترك فُسحةٍ للعقلِ بمنهج الاجتهاد لحكم التفاصيل في إطار الكليات المعنوية والمادية (النجار، **مقاصد القرآن في بناء الفكر العمراني**، 2017، ص 71.، 72) ، فمقصد الاستخلاف والتمكين يُعد من المقاصد المركزية في البناء الحضاري كما صوّره قصص القرآن الكريم، حيث يظهر دور الإنسان كخليفة في الأرض موكول إليه الإعمار والإصلاح وفق منهج الله، فالتمكين ليس غاية دنيوية فحسب، بل هو وسيلةٌ لإقامة الدين، وترسيخ قيم العدل، وتفعيل حركة العمران الأخلاقي والمادي في المجتمع.

2. مقصد بناء الإنسان:

بناءُ الإنسانِ أحد أبرز المقاصد الحضارية وجعل تعليمه وتربيته أسَاسًا في تأسيسِ المجتمعات الراقية، حيثُ يبدأ البناء الحضاري ببناءِ الإنسان فِكرًا وسلوكًا وقيمًا، وقد خلق الإنسان ليسود وكرمه الله بالعقل ليقود، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: 70]، فاللَّه خلق الإنسان ورشحه لتحصيلِ ما به قدرةٌ في معاشِ نفسِه وغيرِه (الراغب الأصفهاني، **الذريعة الى مكارم الشريعة الذريعة**، 2007 ، ص:83- 98) وحق المسلم أن يُحترم لذاته ويكون له قيمة، ولا يَملِك أحد أن يُجرِّده من كرامته التي أودعها الله في جِبلَّته، وحق الإنسان أن يتعلم ويقود ويعمل، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ *عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ *عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: 1 - 4]، فقد قدم الله ذكر القرآن لإفادة أن أعظم ما يتعلمه الإنسان القرآن في علومه ومعارفه، وثنى بالإنسان باعتبار أنه مخلوق متفرد، ومن جملة ما تفرد به البيان؛ إشارة إلى أن ميزة الإنسان الأساسية في استعداده للعلم والتعلم (سعيد حوّى، **الأساس في التفسير** ، 10/ 5646)، وتقبله للمعرفة بما يقود الإنسان إلى آخرته اعتقادًا وعملا صالحا، والحفاظ على هويته وعقيدته؛ بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وممارسات الحياة في مختلف شُعبها وفق هذه العقيدة، بلا انفصال بين العقيدة، والعمل؛ وإنما هو تلازم لتحسين الأداء بدرجة عالية من الفعالية في الأقوال والأعمال(علي عبد الحليم محمود، التراجع الحضاري في العالم الإسلامي وطريق التغلب عليه، 1994، ص 46)، وما يريده من الغذاء والإحساس واللذة، وبما يغذي به خياله وتصوره في أعيان الأشياء وما يطلبه من اللذة والرضا، وما يغذي فيه التفكر والادراك والنطق والتصرف بالحكمة (الراغب الأصفهاني، **الذريعة الى مكارم الشريعة الذريعة**، 2007 ، ص: 74- 79)، بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه، عقلاً، وروحاً، وودينا، وخلقاً، ومادة، والاهتمام بإنجازات الإنسان في مختلف العصور، وتقلب الأزمان ،(الكروي، **المرجع في الحضارة العربية الإسلامية** ،1999 ، ص١٣) وما وجد في العالم فإنما أوجده الله لأجل انتفاع الإنسان به، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ [هود: 61]، فالقيمُ الحضاريةُ ليست مجرد أعمالٍ ماديةٍ، بل مشروع إيماني إنساني متكامل يربط

السماء بالأرضِ، والمادة بالقيم، ويؤسس لعمرانٍ لا يزدهر إلا إذا التزم بالسنن الربانية في الإدارة والشكر والعدل، بالأسس والمبادئ والقيم والخصائص الإنسانية العليا التي ينفردُ بها الإنسان، وتكون دافعًا له إلى تسخير ما خلقَ الله ؛ فيما أمر به؛ لأن إنسانية الإنسان هي قيمته العليا في الحياةِ، فيجبُ أن تكون موضع التكريم والاحترام، وعقيدته هي ميزانه وقوته الدافعة وقانونه في نفسه وفي مجتمعه، فيجب أن تكونَ موضع النظر والاعتبار، وتصرفه في المادة التي هي من نعم الله يجب أن يكون على شكل يحقق الإفادة والنفع والهداية والشكر لواهب هذا الفضل والإحسان، عندئذ يكون الإنسان متحضرًا راقيا، مشيدا لصرح من الاستقرار والسعادة والتقدم (الراعي، **الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية** ، 1988، ص٤٠) ، والإنسان بهذه القوة غير محدود الاستعداد، ولا محدود الرغائب، ولا محدود العلم، ولا محدود العمل، فهو على ضعفه يتصرف في الكون ليظهر بها أسرار خليقته، وأعطاه أحكاما وشرائع، تساعده على بلوغ كماله؛ وترشده إلى مآربه ومزاياه (رضا، **تفسير المنار** ، 1990، 1/ 217)، قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: 25]، ويكتمل بناء الإنسان الحضاري بالفضيلة والشهادة على الناس فيعتقد الصحيح ويعمل الجميل ويجعل اعتقاده براهين واضحة وأدلة قاطعة، لا عن شبهات واهية، وقناعات متداعية، ويترك العادات السيئة ويبغضها ويتجنب الرذيلة ويتوصل إلى الفضيلة، ويتعود على العادات الحسنة ويتنعم بها (الراغب الأصفهاني، **الذريعة الى مكارم الشريعة الذريعة**، 2007 ، ص: 101)، فيتّحد الإيمان بالعمل، والعقل بالعلم، والبناء بالإصلاح، والروح بالمادة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97].

3. مقصد تحقيق العدل ودفع الاستبداد:

العدل مصالحة عامة وعمل اختياري متوافق مع سنة الله في الاستخلاف في الأرض وهو جامع لوضع الأمور في مكانها الصحيح، وإنصاف الآخرين والتسليم للحق، قال تعال: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾

[الأعراف: 29]، فجُمَّاعُ الحسنات العدل وجُمَّاعُ السيئات الظلم، والعدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة، فالنفس فيها داعي الظلم لغيرها بالعلو عليه والحسد له، والتعدي عليه في حقه (ابن تيمية، **مجموع الفتاوى** (1/ 86)، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية** (ص: 29) ، وانعدامُ العدلِ يجلبُ الفسادَ والهلاكَ على الناس فعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي- صلى الله عليه وسلم- فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني، أهدكم، يا عبادي كلكم جائع، إلا من أطعمته، فاستطعموني، أطعمكم، يا عبادي كلكم عار، إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم" (أخرجه مسلم في صحيحه 4/ 1994، برقم: 2577) والتزام العدل في الولاية والحكم فعن أم معقل، عن أبيها، قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- : «ما من أحد يكون على شيء من أمور هذه الأمة قَلَّت أم كثرت فلا يعدل فيهم إلا كبه الله في النار» (الحاكم ، **المستدرك على الصحيحين للحاكم** ، 1990، 4/ 102، برقم: 7014) ، وسلوك طريق الانصاف وعدم البغي، فعن علي- رضي الله عنه- قال: قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: «ليس شيء أسرع عقوبة من بغي» (القضاعي، **مسند الشهاب القضاعي**، 1986، 2/ 215)، قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: 58، 59]، فالفائدةُ الكبرى التي يعلّقها القرآن على السير في الأرض والوقوف على آثار الأمم البائدة هي الاعتبار بحال الظالمين وعقبى الظالمين ليعلم المعتبر أن الظلم هو سوس المدنيات فيقيم العدل، وإذا جاء العدل جاء العمران، وإذا جاء العمران قامت المدنية، وكان العدل سياجها والعلم سراجها، وهذه هي مدنية الإسلام (الإبراهيمي، **آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِي**، 1997، 1/ 376)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية " العدل نظام كل شيء؛ فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت" (ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، 28/ 146)، فمقصد تحقيق العدل ودفع الاستبداد من أهم المقاصد الحضارية في القصص القرآني، إذ يُشكّل العدل الأساس الذي تقوم عليه المجتمعات القوية والمستقرة، وهو قاعدة شرعية

لحماية الحقوق، وتنظيم العلاقات، وتحقيق كرامة الإنسان، في مقابل الاستبداد الذي يهدم المجتمعات ويعطل طاقات الأمة.

4. مقصد التآلف والاتحاد:

التآلف والاتحاد مطلب ضروري لا غنى عنه وفيه تعزيز للوحدة وتهذيب لنوازع النفوس وغرائزها، يقول العلامة ابن خلدون: " الإنسان مدنيّ بالطّبع أي لا بدّ له من الاجتماع" (ابن خلدون، 1988، 1/ 54)، وفي التعاون دعم للمشروعات العامة وقضايا المجتمع، وفيه إبعاد للناس عن التفرق والصراع والتشاحن واتباع الهوى، وتسويغ الباطل والوقوف في صف الفساد، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: 2]، يقول الإمام الغزاليّ: " التعاون على طلب الحق من الدين" (الغزالي، إحياء علوم الدين ، 1/ 42، 43)، وقال ابن خلدون: "التَّساكُن والتَّنازُل في مصر أو حلَّةٍ للأنس بالعشير، واقتِضاء الحاجات لما فيه من طباعِهم من التعاون على المعاش" (ابن خلدون، 1988، 1/ 53) ، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف، ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس» (أخرجه الطبراني، **المعجم الأوسط**، 6/ 58، برقم: 5787)، فالمؤمن يتألف غيره ويتعاون معه في تحقيق الحق ورد الظلم والباطل، وبهذا بتحقيق ثمرة ومقصد من الحوار النافع للآخرين، فالمؤمن يألف ويحب ويتعاون مع الآخرين، ويألفه الآخرون ويتعايشون ويجتمعون معه، قال الإمام الماوردي: "الإنسان لا يصلح حاله إلا الألفة الجامعة فإنه مقصود بالأذية محسود بالنعمة؛ فإذا لم يكن إلفًا مألوفا تختطفه أيدي حاسديه وتحكم فيه أهواء أعاديه فلم تسلم له نعمة ولم تصف له مدة وإذا كان إلفا مألوفا انتصر بالإلف على أعاديه وامتنع بهم من حساده فسلمت نعمته منهم وصفت مودته بينهم" (المناوي، فيض القدير ، 1356 ، 6/ 253) فعن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا» (أخرجه مسلم، 4/ 1999، برقم: 2585)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا، كما ترك النبي- صلى الله عليه وسلم- تغيير بناء البيت

لما في إبقائه من تأليف القلوب " (ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، 1995، 22/ 407)، فإرادةِ الحق، ولوازم الاجتماع وتعزيز التنسيق ودعم الوحدة يهذب نوازع النفوس وغرائزها من الأثرة والتسلط وحب الذات (المزيني، **فقه السياسة الشرعية الشورى نموذجا**، 2013م ، ص 112)، والوحدة مقاصد ربانية وشعار إسلامي ومبدأ حضاري، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: 52]، وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: خطبنا عمر بالجابية، فقال: يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فينا، فقال: «أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن» (الترمذي، ، **سنن الترمذي**، 1975، 465/4، برقم: 2165)، والخير في اجتماع الكلمة (ابن جماعة، **تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام**، 1988، ص 86)، والوحدة و"كل مسألة حدثت وطرأت فأوجبت العداوة والبغضاء والتدابر والقطيعة علمنا أنها ليست من أمر الدين" (الشاطبي، **الاعتصام للشاطبي**، 2008، 3/ 169) ، فإن الأوطان تجمع الأبدان، وإن اللغات تجمع الألسنة، وإنما الذي يجمع الأرواح ويؤلفها، ويصل بين نكرات القلوب فيعرفها إنما هو الدين، فلا تلتمسوا الوحدة في الآفاق الضيقة، ولكن التمسوها في الدين، والتمسوها من القرآن تجدوا الأفق أوسع، والدار أجمع، والعديد أكثر، والقوى أوفر.. فما دام هذا القرآن موجودًا بين المسلمين، يقرؤونه ويجلّونه ويضعونه في مكانه من التقديس، فإن الأمل في إصلاح المسلمين لا ينقطع، لأن أوائلهم ما صلحوا إلّا به، فلا يصلح آخرهم إلّا به، وما هي إلّا هبة من هباته ونفحة من نفحاته تهب على النفوس المبدّدة وإذا قلوبهم مجتمعة، ونوافرهم متآلفة، وأمرهم جميع (آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 1/ 15 ، 4/ 79)، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103].

5. مقصد الإصلاح والتنمية الشاملة:

إنَّ إصلاح حال أمَّتنا الإسلاميَّة وإخراجها من مرْحلة الوهن والنكوص الحضاري، والدَّفع بها إلى استِرْداد عزها ومكانتها، أمر يحتاج إلى جهود ومجاهدة في ميادين عدَّة والاستهداء بكتاب الله ((البوزي، التقوى والعمران الحضاري في القرآن، موقع الالوكة، https://www.alukah.net/sharia/0/6447) ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: 11]، فالإصلاح المجتمعي والوظيفي؛ يكون بإصلاح المجتمع بكل فئاته وطبقاته، بوضع خطط وبرامج عملية مرتبطة ومنظمة لإصلاح الأمة، وإصلاح الحكم والإدارة وإصلاح مفاسد الحياة الحاضرة، فإن التغييرات الكبرى في المجتمعات تحدث في وقت أقصر بتولي أهل الصلاح لزمام الحكم والتضيق على الفساد والمفسدين (المودودي، وقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، ص 56- 61) ، فعن علي- رضي الله عنه- قال سمعت رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يقول" ألا إنها ستكون فتنة. فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتابُ الله؛ فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: 1، 2]، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُد يَ إلى صراط مستقيم" (أخرجه الترمذي 5/ 22 ، برقم: 2906)، وصلاح أمر المسلمين بالعلم النافع والعمل الصالح (ابن تيمية، مجموع الفتاوى، 16/ 65)، والإصْلاح في الأرْض، والحكم الصالح المؤسس على ما أراده الله، بما ينعكس على قيام الأفراد بأنشطتهم حسب البيئة التي يقيمون فيها، وهذا يؤدي بدوره إلى الاستقرار وظهور مناخ ملائم لبناء الحضارات الإنسانية فوق الأرض (قريبع ، **البناء الحضاري في القرآن الكريم** ، 2008، ص 130)، واستجلاء الطرق المثلى للعودة بهذه الأمة إلى ما كانت عليه في سابق عهدها، بإعادة اكتشاف دلالات القصص القرآني وربطها بمقتضيات الواقع، وتقديم رؤية معاصرة لنماذج من القصص القرآني تعالج

تحديات العصر، وتحقق التوازن بين الجوانب المادية والروحية، وتسهم في بناء حضارة إسلامية متكاملة؛ تأكيدا على محورية القرآن الكريم ومرجعيته في الحياة، وإيجاد علاقة وثيقة بين الآية وما يجري في الواقع على شكل دلالة وتنبيه واستنتاج يشد الأذهان ويحرّك العقول ويلقي في روعها أن الخطاب موجّه إليها (وهذا المنهج الذي سار عليه العلامة ابن باديس، محمد زرمان ، **ابن باديس في تدبر القرآن و أثرها في نهضة الأمة** ، ص 19)، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]، قال ابن عاشور: " وإزالة الفساد... يُراد منه صلاح أحوال الناس وشؤونهم في الحياة الاجتماعية" (ابن عاشور، **مقاصد الشريعة الإسلامية**، 2004 ، ج 3، ص 195، 196) ، فأهم مقومات إصلاح الحضارة وجود القيم، الذي يشكل ضابطاً ومعياراً لها، وإن هذه القيم ليست من وضع الإنسان ليعبث بها ويراوغ في تقويمها، وإنما هي قيم خالدة متأتية من خالق الإنسان العالم بتكوينه؛ لذلك فهي مؤهلة للإنتاج والنهوض في كل زمان ومكان وإنسان، وتشتد الحاجة إليها اليوم أكثر فأكثر للخروج من أسر الظلم والهيمنة والتسلط والاستكبار الحضاري الذي يمارس على الإنسان من قبل المتغلبين على المسلمين (الصرايرة، **البناء الحضاري في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام**، 2010م ، ص 132)، قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف: 96 - 98]، فالإصلاح يترتب عليه رغد العيش ورفاهية الحياة وتطورها ورقيها إلى مدارج التحضر، وتنتظم علاقة العبد بخالقه والمخلوق مع غيره، بما يعزز استقرار الإنسان وكرامته، قال تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: 112]، وهذا يعني أن أهل القرى لو اتخذوا ما أمر الله به نظاماً ومنهاجاً لهم يسيرون عليه، ويهتدون بهديه، لكان ذلك سبيلاً لرخاء حياتهم، وسعادتهم، وبناء وتطور حضارتهم، ذلك أن النظامَ الصالح الذي يسوس المجتمع، في حين أن النظام الفاسد غير الصالح سيكون مدعاة لهلاك الأمم وخراب حضارتها (قريبع، **البناء الحضاري في القران الكريم** 2008، ص 130)، وعلامة الصلاح الاعتقاد الصحيح، والرشد

الواعي، والفهم الثاقب، والسمع المدرك، والقلب الواعي، والنصح المستمر، والسداد في العمل، وقوة العزيمة في ملازمة الفضائل (الراغب الأصفهاني، **الذريعة الى مكارم الشريعة الذريعة**، 2007 ، ص 121)؛ كالشجاعة والعفة والجود والعدل والاخلاص والصدق والأمانة والرفق والرحمة والتعاون في جميع التعاملات، واجتناب المحظورات التي تحفظ للمجتمع طهارته واستقامته، وبهذا تتكامل الأسس العقدية والاجتماعية والأخلاقية لاستئناف الحضارة الإسلامية التي تمنح المجتمعات الإسلامية القوة وتحقق التقدم والنهوض المنشود.

ثالثا: البناء الحضاري في ضوء تفسير القصص القرآني وتطبيقاته المعاصرة:

القصة القرآنية أداة لتربية الإنسان تربية تتضمن خير المسالك وتبوّئ المتعلم أفضل المنازل، وتقوي المعرفة التي لا تنفك عن الحياة، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: 3] ففي القرآن الكريم أحسن القصص الذي يعرض نماذجَ من المجتمعات في منظومة قصصية مختلفة لتجارب بشرية، في القوة والازدهار، وفي التراجع والانحسار، وفق سنن الله وبالنظر المتأمل إلى القصص القرآني نصل إلى الغوامض في حياتنا ؛ بالاستناد إلى نماذج ربانية تعين على البناء الحضاري وإصلاح الواقع ومعالجة التراجع والاخفاق واستشراف المستقبل، قال الله تعالى : ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 62]، فالدورات الحضارية التي قصها القرآن الكريم غنية بأعظم القيم والمبادئ والأخلاق وطرق الخير والصلاح، وتنبثِقُ عنها مبادئ وأخلاق وآداب وقيم وأفْكار وسلوك وبلوغ أقصى درجاتِ السموِّ الروحي والرقيِّ الأخلاقي (البوزي، **التقوى والعمران الحضاري في القرآن**، موقع الالوكة، https://www.alukah.net/sharia/0/6447) ، ويعرفنا القَصص القرآني- أيضا- حالَ بني إسرائيل كنموذج في الفساد الأخلاقي، والانهيار المجتمعي، والانحطاط الفكري، والانحراف العملي، والتمزق الفعلي، والأنانية وحب الذات، وقصور النظر، وفقدان الزعامة، والخضوع للمادة، والانصراف إلى الدنيا واعتماد التقليد بدلاً عن الابتكار والإبداع. (الندوي، **أسباب انحطاط الأمة الإسلامية: دراسة مقارنة بين ماذا خسر العالم، ولماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم** ، https://albasulislami.com)، وفي القرآن الكريم

دلالات واضحة للإصلاح الفكري والتخلص من زيف التخلف الاجتماعي والسياسي، والنحل الوافدة في واقعنا (فضل عبَّاس، التفسير والمفسرون في العصر الحديث، 2016 ، 1/ 46، 47) ونسوق نماذج قصها القرآن الكريم؛ بيانها على النحو الآتي:

1. الاستنهاض الحضاري في قصة موسى عليه السلام:

جاءت قصة موسى- عليه السلام- في القرآن الكريم لتجسد مرحلة مفصلية في تاريخ بني إسرائيل، إذ كانوا يرزحون تحت نير الاستبداد والاستعباد في مصر، فاقدين لأبسط حقوقهم الإنسانية الحضارية، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: 4].

فموسى- عليه السلام- أرسله الله لمهمة إخراج بني إسرائيل من حالة الذل والخضوع إلى فضاء الحرية وإخراجهم من مصر إلى الأرض المقدسة؛ حيث التمكين والانبعاث الحضاري؛ إلا أن بني إسرائيل لما وصلوا إلى حدودِ الأرضِ المقدسةِ، انقلبوا على أعقابهم وعصوا أمر ربهم، قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة: 20 - 22]، فالقصة تبرز دور موسى- عليه السلام- في إخراج بني إسرائيل من حكمِ فرعون، الذي أمات فيهم فطرة الدفاع عن النفس والولد، وقتل فيهم روح المقاومة، حتى باتوا عاجزين عن الدفاع عن أنفسهم وعن أبنائهم ومعتقداتهم ؛ فالنفس الذليلة لا تجد ألم الهوان، والنفس الشريفة يؤثر فيها يسير الكلام (الطرطوشي ، سراج الملوك ، 1872، ص: 82) ؛ وفيها قال المتنبي (الثعالبي، **أبو الطيب المتنبي وما له وما عليه** ، ص: 122):

من يهن يسهل الهوان عليه *** ما لجرح بميت إيلام

إنه من المستحيل أن يتأثر بنوا إسرائيل ويدافعوا عن أنفسهم ومعتقداتهم وقد ماتت فيهم نخوة الضمير وضعف الإيمان، لا يمكن أبدا أن ينهضوا ؛ فكثرة الظلم ودوام الاستعباد والقهر أمات فيهم فطرة الإنسانية، فلم يعودوا قادرين على التغيير، فقد صاروا جلاميد صخر، لا يبكون على ولد مات، ولا على شرف دُنّس، وعندما وصلوا إلى تأدية الواجب نكصوا على ما فرض الله عليهم (عبد الباسط بن عيسى، التفسير الحضاري للقرآن الكريم، https://www.youtube.com/watch?v=rSTUepMXVB0)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * وَإِذْ قُلْتُمْ يَامُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة: 54، 55]، هذا قول من اختارهم موسى بالأفضلية، ولك أن تتخيل إذا كان هؤلاء أشراف بني إسرائيل فكيف بسفهائهم ؟!

فقد اختارَ سيدُنا موسى- عليه السلام- أربعينَ رجلًا من خيارِ بني إسرائيل للاعتذارِ من الله تعالى عما فعله قومهم من عبادة العجل، وأمرهم الله تعالَى بالتمسكِ بشريعتِهم، والعملِ بما فيها من أحكام بقوة وجدية، ليتحقق الإيمان الذي يرضاه الله لهم، لكنَّ طبيعةَ أهل الفسق تأبى الالتزام والانقياد (الإبراهيم، القيم الحضارية في القصة القرآنية دراسة موضوعية ، 2013، ص 153)، فهذه النوعية من الأتباع يمثلون جيلًا مشوهًا بفعل الاستعباد والاستبداد، لا يمكن أن يحملوا مشروعا للنهضة، بل يبقوا في صحراء سيناء أربعين عامًا تائهين، وكانت النتيجة أن موسى- عليه السلام- لم يتمكن من إدخال بني إسرائيل إلى فلسطين، ولم يحقق المقصود من إقامة دولتهم، وبقي بنوا اسرائيل في التيه متخبطينَ، ومات موسى- عليه السلام- وقبضه الله إليه، ومن هذا نعرف أن قصة موسى كلها تبين لنا إخفاقات الاتباع في صناعة التغيير، حتى ولو كان القائد عظيما من الرسل ومن أولي العزم، إذ إنه لا يمكن أن يحدث التغيير بمجرد وجود القائد العظيم؛ بل لا بد للنهوض من أتباع مستعدين للتغيير وقادرين على التزم الإيمان بالله تعالى والجهاد في سبيله (عبد الباسط بن عيسى، التفسير الحضاري للقرآن الكريم، https://www.youtube.com/watch?v=rSTUepMXVB0) قال تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا

فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: 155]، قال سيد قطب : " ولكن البنية النفسية المفككة ، والجبلة الهابطة المتداعية ، أبت على القوم أن يرتفعوا إلى مستوى الغاية التي من أجلها أخرجوا من مصر ، ومن أجلها ضربوا في الصحراء . . لقد أخرجهم الله - على يدي نبيهم موسى - عليه السلام - من الذل والهوان ليورثهم الأرض المقدسة، وليرفعهم من المهانة والضعة، وللحرية ثمن، وللعزة تكاليف، وللأمانة الكبرى التي ناطهم الله بها فدية. ولكنهم لا يريدون أن يؤدوا الثمن، ولا يريدون أن ينهضوا بالتكاليف، ولا يريدون أن يدفعوا الفدية ؛ حتى بأن يتركوا مألوف حياتهم الرتيبة الهينة، حتى بأن يغيروا مألوف طعامهم وشرابهم ، وأن يكيفوا أنفسهم بظروف حياتهم الجديدة ، في طريقهم إلى العزة والحرية والكرامة " (سيد قطب، **في ظلال القرآن** ، 2004، 1/ 74)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 93]، وبيئة التربية لبني إسرائيل لم تكن مناسبة للتغيير؛ فبيئة الظلم والإكراه لا تصلحُ للتغيير؛ لأنَّ القوةَ منعدمةٌ، وليست مهيئة للأعمالِ والاستخلاف، حتى يذهبَ الجيلُ الضعيف، ويأتي الجيلُ الجديدُ الذي لا يعرف القهر، ولا الضعف في أي مهمة، البيئة المناسبة للتغيير بيئة تشبه صحراء سيناء، لا يوجد فيها إكراه ولا قهر ولا استعباد.

فالنكوص الذي وقع فيه بنو إسرائيل يُعد من أبرز النماذج القرآنية التي تكشف كيف يؤدي الانحراف عن منهج الله إلى الانحدار والتخلف، فقد منحهم الله تعالى كل أسباب النهضة والقيادة، بما نجّاهم من الاستعباد الفرعوني، وأكرمهم بالرسالة، وأنزل عليهم الكتاب، وجعل فيهم النبوة، وأراهم من آياته ما لم يُر غيرهم، لكنهم مع ذلك نكصوا على أعقابهم، واستبدلوا الرسالة بالهوى، والعبودية لله بعبودية المادة والشهوة، قال تعالى : ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَامُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: 138].

وقد ابتلاهم الله تعالى بالحسنات والسيئات إلا أنهم ضلوا تائهين في شهواتهم ومعتقداتهم المنحرفة، فحرم عليهم الأرض المقدسة، حتى انقرضَ جيلُ الوثنية، والعبودية لفرعون، وهذه

السنة جاريةٌ في كل الأمم التي عاشت في الظلم، وشبوا في حجر النفاق والفسق، كان يرجى أن يحرروا أنفسهم ويستقلوا بأمرهم إلا أنهم ضاعوا بسبب انحرافهم، وكان هذا عبر التاريخ فإن العلم الناقص شر من الجهل المطلق، وإن الشعب الفاسد جنايته على نفسه، قبل عدوه (رشيد رضا ، **تفسير المنار**، 1990 ، 9/ 95)، قال تعالى: ﴿قَالُوا يَامُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]، وفي هذا التعبير دلالة صريح عن الانفصال بين القادة والاتباع، ورفض حمل المسؤولية، والجبن عن خوض معركة التمكين بعد التهيئة الحضارية، واتخاذهم العجل معبودًا بعد أن شاهدوا المعجزات يدل على عمق الانحراف العقدي والانهزام النفسي الذي يمنع أي مشروع حضاري من أن ينهض، قال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: 74]، فكانت قلوبهم المتحجرة سببًا في رفض الحق، وتقديس المظاهر، والجدل العقيم، واحتقار أوامر الله، حتى في أبسط التكاليف، مما أدى إلى ضياع الاستخلاف، وتحوّلهم من أمة استخلاف إلى أمة معزولة، والملاحظ أن النكوص لبني إسرائيل ليس فقط لحظة عابرة، بل هو نمط متكرر في بني إسرائيل في التخلي عن الرسالة، وتقديس الواقع على حساب المبادئ، والتغافل عن سنة الله في التمكين الذي يقوم على الإيمان والطاعة والعمل الصالح، وما يحدث من القتل والتشريد والإبادة الجماعية في غزة ؛ من نسل بني إسرائيل خير شاهد على انحرافهم وظلمهم وتجبرهم عبر الأزمان المتلاحقة.

وللتخلص من النكوص في واقع المسلمين اليوم، لا بد من اتباع مشروع نهضوي متكامل يستند إلى القرآن الكريم بوصفه مصدرًا لهداية الإنسان وتحريره من التبعية والتخلف، كأول خطوة للخروج من الضعف؛ تصحيح المفاهيم حول الهُويَّة الإسلامية ودورها في الوجود الرسالي للاستخلاف والعمران قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ [فاطر: 39]

فالتكاليفُ لا يمكن إنجازها إلا بالإيمان الشامل بالرسالة الإسلامية والانخراط في مشروع الإصلاح والبناء الحضاري القرآني؛ القائم على التوحيد، والعدل، والكرامة الإنسانية، وإصلاح التعليم والمنهج الفكري، وفهم الواقع وتحليله من منظور قرآني، فلا نهضة دون تربية روحية تُخرج جيلًا يملكُ الإرادةَ والرسوخَ في الحقِّ، والانطلاق من الذات واستنهاض الإمكانات، ورفض

التبعية، واستثمار كل ما أودعه الله في الأمة من طاقات بشرية ومادية، والنظر إلى التنمية والتطور كفريضة شرعية لتحقيق التمكين وعدالة الاستخلاف، وإعادة البناء والتأسيس لأمة القرآن، وخلافة الإنسان المسلم، وتجديد الوظيفة الحضارية للعلم والعمل، وتحقيق التوازن بين الإيمان والعمل، والعقيدة والعمران، والغيب والواقع، وهذا وحده كفيلٌ بأن يعيدَ الأمة الإسلامية من حالة الغياب إلى موقع القيادة الحضارية، ويتطلب منا تجديدًا في فهمنا للقرآن؛ بحيث ننتقل إلى التفاعل الحضاري، واستلهام السنن الربانية في البناء والتغيير، ومواصلة التنامي والعطاء، وتُبرز القصة دلالة حضارية جوهرية في التغيير تتمثل في توافر ثلاثة عناصر أساسية مترابطة في البناء الحضاري : (1) بيئة مناسبة توفر مناخ الحرية وإزالة عوامل القهر والظلم؛ (2) وأتباع مؤهلون يمتلكونَ الإيمانَ العميقَ والعزيمةَ الصادقةَ؛ (3) وقائدٌ متكامل يحمل مشروعًا واضحًا للتغيير ؛ فيختار بالرضى وعدم الإكراه ليمثل الإدارة، ويصنع ببرامج وخطط وطرائق بمستوى عال من العلوم، والعدل والأمانة (الإبراهيم، القيم الحضارية في القصة القرآنية، دراسة موضوعية ، 2013، ص 177)، فأول ما يجب أن نسعى إليه إيجاد القائد الذي تربى في بيئات طبيعية، فيها الحرية والكرامة، وليسَ فيها الظلم والقهر والاستعباد، توفر فرصةَ النشوءِ الطبيعي دونَ عسفٍ، وأيضًا وجود أتباع في مستوى عالٍ من الإيمانِ بالله، التزموا الخير الإسلامي وتخلوا عن الغير الأجنبي، عملية تصفية وتنقية لإعادة تأهيل المسلمين الذين أضحى بعضهم غير صالحين للاستعمال، بسبب فساد الزمان فأفسدهم، فإما أن يُغيروا أنفسهم، أو على الأقل تأتي أجيالٌ جديدة سليمة، تخرجُ إنسانًا فطريًا خَامًا يصلحُ للبناءِ الحضاريْ (عبد الباسط بن عيسى، التفسير الحضاري للقرآن الكريم، https://www.youtube.com/watch?v=rSTUepMXVB0) قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: 2، 3]، فالجيلُ الذي قامت عليهم حضارة الإسلام ؛ البيئة التي كانت في شبه الجزيرة العربية؛ بيئة بسيطة لا ملك قاهر فيها ولا سلطة متحكمة، وأعراب على الفطرة، آمنوا بالرسول- صلى الله عليه وسلم- وهضموا العلومَ والمعارفَ، وأعطتهم العقيدة دفعة علمية عالية في كل فن، ولونٌ من ألوان المعرفة في كل مجال، فغدوا يفتحون مجاهيلَ العلوم، ويخوضون عبابه،

ويستخرجون كنوزه، ويقطفونَ ثماره، فأخرجوا للعالمِ في برهة من الزمان ما يشبه المعجزات، وحدثت طفرة علمية جبارة نهض بها أبناء الصحراء من العدم، فسادوا في حمل لواء النهضة العلمية الفكرية في العالم وبسرعة البرق، وقبضوا على صولجان السيادة في العالم دون منازع في مدة لا تقل عن ثمانية قرون (الراعي، **الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية**، 1988، ص 404)؛ فالبيئة المناسبة تخرج إنسانًا صالحًا للتغيير، والإنسان الصالح يصنع التغيير في كل حين، والمرحلة التي يعيشها المسلمون اليوم، مرحلة ضعف وانكسار وإرادة التغيير والنهوض تحتاج إلى قائد يعرف أركان معادلة التغيير في العالم الإسلامي (عبد الباسط بن عيسى، **التفسير الحضاري للقرآن الكريم**، https://www.youtube.com/watch?v=rSTUepMXVB0)، والتغيير يكون بتطهير الأفكار والمعتقدات وتنقيتها من الأفكار الدخيلة على المجتمع، واستخلاص الأفراد المصلحين وتربيتهم في نظام إسلامي واحد؛ لميدان العمل في المجتمعات المتعددة، فالفساد الجماعي والظلم العام؛ يخل بمستوى الاعتقاد والإيمان والعمل الصالح، ويهبط بعلياء الكرامة الإنسانية ويقرب من ساعة الدمار، ومن هنا يتضح أن الواقعَ المعاصرَ للمسلمين، بما يحمله من تحديات الضعف والانكسار، يتطلب إعادة بناء معادلة التغيير والإصلاح والبناء الحضاري؛ من خلال إعداد بيئات آمنة حاضنة للحرية، وإعادة تأهيل الأفراد روحيًا وفكريًا، وصياغة قيادة واعية تدرك عمق الأزمة وطبيعة الحلول، ولزامًا على الأفراد والجماعات والحركات والمشاريع الإصلاحية في العالم الإسلامي أن تتبنى رؤية شاملة تُعيد للأمة مكانتها الريادية وخيرها العميم للمسلمين.

2. الاستخلاف الحضاري في قصة ذي القرنين عليه السلام

الله سبحانه ذكر نموذج ذي القرنين للتمكين والاستخلاف بقوة السلطان وانضباط الجيش والتزام أحكام القوة واتخاذ الأسباب واتباع السنن التي توصل إلى الاستقرار، فقد وصل إلى مغرب الشمس، ووجد عندها قومًا ضعفاء، إلا أنه أقام العدل في حكمه، وتحكم بقوته؛ فمبتدأ قوته كان عادلًا، وفي منتهى قوته بقي عادلًا، لم تؤثر في حكمه زيادة القوة، وبقي محافظًا على العدل، فالعدل يكون صعبا في الغالب لمن يتسع ملكه؛ إلا أن ذا القرنين مع سعة ملكة من مغرب

الشمس إلى مطلعها، كان عادلا، واستفاد من الأسباب والعمل بالسنن بالعلم والمعرفة والإدراك، فقد وجد قوما بدائيين جدًا قليلو الفهم والتخاطب، يعيشون بين السدين، ويعانون من فساد يأجوج ومأجوج في الأرض وتخلفهم حضاري بمستويات عدة ؛ إلا أن ذا القرنين استنهضهم وعمل على تطوير ما عندهم وأعدهم للتمكين(عبد الباسط بن عيسى، **التفسير الحضاري للقرآن الكريم**، https://www.youtube.com/watch?v=rSTUepMXVB0)، قال تعالى ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: 90 - 95]، فأعطاه الله ملكا عظيما ممكّنا فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين، والجنود وآلات الحرب والحصارات، ويسّر الله له الأسباب، والوسائل إلى فتح الأقاليم، وكسر الأعداء، وإذلال أهل الشرك (ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، 1419، 5/ 171)، فمسيرة ذي القرنين في الأرض تمثل نموذجًا بارزًا لقوة القيادة الحضارية، لما تميزت به من وعي عميق بغاية الوجود الإنساني، إذ شكّلت هذه الرؤية الدافع الأساس لانطلاقه في مسيرة البناء والعمران، واستكشاف مواطن القوة ومصادر الاستدامة، فقد وظَّف ما حباه الله من قدرات وإمكانات في خدمة تطوير الحياة وتنمية الموارد واستثمار الثروات الكونية، قال تعالى: ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ [الكهف: 87، 88].

فالقرآن الكريم الفيصل في الحق التي يستقي منه الحاكم أوامره؛ لا شططَ فيه ولا خلاف، ولا هوى ولا ظلم، ولا تحكم في رقاب الناس وأمنهم؛ حتى ينتشر العمران، ويعيش الناس في ثوب قشيب من السعادة والهناء (عبد الباسط بن عيسى، **التفسير الحضاري للقرآن الكريم**، https://www.youtube.com/watch?v=rSTUepMXVB0)، قال الله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (95) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف: 95، 96].

هذا الاستخلاف لا يتحقق إلا بالاهتداء بمقاصد القرآن الكريم، بالحكم بالإسلام في كافة مناحي الحياة، بدءًا من الاستقلال السياسي، والتحرر من التبعية للدول الكبرى، وإقامة الحرية ؛ التي تكرّس كرامة الإنسان، وتحقيق العدل والمساواة، وإقامة الحدود لضمانِ الأمنِ المجتمعي، وتفعل قيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيثُ تمكنُ المسلمَ المشاركة بفكره وجهده في إصلاح حال الناس، انطلاقًا من عقيدةِ التوحيد ومقاصد الشريعة، وإصلاح بنية العلوم وفق رؤية إسلامية توحيدية، تنقِّي الأفكار من التصورات الخاطئة، وتربطُ الفكر بالوحي كمصدر للمعرفة، وتعيد صياغة الأفكار بلغة عربية فصيحة، لتكون أداة حضارية في مشروع استخلافي مستقيم، قادر على تقديم رؤية واقعية بديلة تنقذ من الانهيار القيمي (جعفر شيخ ادريس، **الدعوة الإسلامية والغزو الفكري**، الموقع، https://jaafaridris.com/books/show/24)، وتكوّن روح الخير لدى الأفراد التي تدفعهم للسعي لإقامة مشروعات وابتكارات واختراعات متكاملة لترقية الإنسان، وإزالة روح الشر من النفوس والانحطاط بالحياة الإنسانية، ثم إنها تبني حضارة أخلاقية خيّرة، فلا تسعى أول ما تسعى لرفعة المباني وتجميل المدن وجلب الأسلحة المبيدة للبشرية والمخوفة لهم؛ فما الفائدة من بناء المدنية الجميلة وأداة الهدم محكمة والقتل من أجل أغراض دنيئة، وإنما تسعى أولا لبناء الرجال فكريا وروحيا وأخلاقياً، وعمليا، وتتقدم العلوم الأساسية؛ لإزالة الشر من الإنسان، وتقديم الحاكم الصالح، الذي يأخذ بيد الناس إلى معالم الخير والهدى والصلاح ويبني لهم حضارة الإيمان والعلم والمعارف (خير رمضان ، **ذو القرين القَائِد الفَاتح وَالحَاكم الصَّالِحُ دراسَة تحليليّة مقارنة على ضوء القرآن والسّنة والتاريخ** ، 1994، ص287-289)، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111].

فالاعتبار بما قصه الله لنا في قصة ذي القرنين الذي بسط الله له القدرة والملك عندما عرض عليه الخراج والأموال، اختار مساعدةَ الضعفاء وتفعيل الأبدان (القرطبي، **تفسير القرطبي**، 1964 ، 11/ 60) ، ونقل العلم، فقد سعى لهم المكونات؛ آتوني زبرَ الحديدِ، حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا، فكان يشرح لهم ما يفعلونه، ثم قال: آتوني أفرغ عليه نحاسًا، وأعطاهم سر العلم وأشركهم في العمل، حتى يحفظوا ما يجب أن يفعلوه، وحتى يروا الأمر على حقيقته،

فقصة ذي القرنين- عليه السلام- تدل على رؤية قرآنية عميقة لمفهوم النهضة الحضارية، قائمة على أسس متينة من العدل والتمكين والتعليم، وعدم استغلال الضعفاء، بل عبر مساعدتهم على اكتساب أدوات القوة والمعرفة بأنفسهم، وتبني سياسات تعزز بناء القدرات الذاتية، وتدفع نحو الاكتفاء الذاتي في مجالات العلم والتقنية، مع نشر ثقافة المشاركة والمعرفة المفتوحة، فالمسلمون حين كانوا سادة العالم، كانت جامعاتهم مفتوحة للجميع، جامعات الأندلس، والمغرب، والقرويين، وبجاية، وتونس، والزيتونة، والقاهرة، وبغداد، واليمن، جميعها مفتوحة للجميع، استلهام نموذج ذي القرنين في برامج ومناهج التعليم المعاصرة من شأنه أن يعزز مبادئ التمكين الذاتي، ويكرّس ثقافة التعاون والتكافل المعرفي بين الشعوب، لتعود المجتمعات الإسلامية شريكًا فاعلًا في صنع مستقبل الإنسانية، وهذا النموذج يتناقض بشكل صارخ مع الممارسات المعاصرة التي تشهدها الساحة الدولية، حيث تحتكر الدول الكبرى أسرار التكنولوجيا والعلوم وتتحكم بمصائر الشعوب المستضعفة، مما يكرس فجوات حضارية تعيق التنمية العالمية، واستلهام نموذج ذي القرنين في برامج ومناهج التعليم المعاصرة من شأنه أن يعزز مبادئ التمكين الذاتي، ويكرّس ثقافة التعاون والتكافل المعرفي بين الشعوب، لتعود المجتمعات الإسلامية شريكًا فاعلًا في صنع مستقبل الإنسانية (عبد الباسط بن عيسى، **التفسير الحضاري للقرآن الكريم**، https://www.youtube.com/watch?v=rSTUepMXVB0) ، فلم يكن عند المسلمين أبدا علم محتكر، بل منح معرفة متاحة للجميع، ففي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة» (أخرجه أبو داود في سننه، 3/ 321)، برقم: 3658)، بل إن بعض الفقهاء رفضوا فكرة حقوق الطبع؛ لأنهم يرون أن العلم مشاعٌ، ولا يجوز احتكار المعرفة، فالمأمون على سبيل المثال أنشأ مدرسة ببغداد للترجمة، أطلق عليها بيت الحكمة، يتعلم فيها أبناء العرب اللغات المختلفة، حتى يجيدوا النقل عن تلك اللغات، وقد جعل النظر في أمر هذه المدرسة وترتيبها، وجعل يوما في الأسبوع يجتمع فيه المترجمون بعلماء اللغة، ليطلع هؤلاء على عملهم، وينظروا ؛ ليصححوا ما ورد فيه من أخطاء ويقروه (الراعي، **الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية**، 1988، ص 402)

وفي قصة ذي القرنين- عليه السلام- دلالات في الاعتبار باستخدام الملك والمال بالعدل ومرضاة الله تعالى والقيام بالأسباب، والعمل بسنةِ الله بالجد والجهد، وعدم الفتور، وتجشم الأخطار، وتنشيط الهمم لرفع العوائق، ووجوب المبادرة لمعالي الأمور، وأن من قدر على أعدائه وتمكن منهم فلا يجعل من السلطة عصا للإذلال والاستعباد، بل يعامل المحسن بإحسانه والمسيء بقدر إساءته، ويبذل وسعه في الراحة والأمن، دفاعاً عن الوطن، وصيانة للحرية والتمدن، ودفع المعتدين وإمضاء العدل بين العالمين، وإن على الملك التعفف عن أموال رعيته، والزهد في أخذ أجرة، في مقابلة عمل يأتيه، بما أغناه الله عنه؛ ففي ذلك حفظ لكرامته وزيادة للشغف بمحبته، والتحدث بنعمة الله تعالى إذا اقتضاه المقام، وتحصين الأسوار والثغور وتقويتها لينتفع بها على تطاول الأجيال، ومشاطرة الملك العمال في الأعمال ومشارفتهم بنفسه إذا اقتضى الحال، ويقاسم الرجال الأتعاب ويدير العمل بنفسه، ويخلد جميل الثناء في مناقبه، وجليل الآثار في أعماله، والشجاعة وعلو الهمة والعفة والعدل وإثابته المحسنين وتأديب الظالمين، والاهتمام بتوحيد الكلمة وبليغ الاستعداد، وصرف ما أنعم الله عليه بالإفساح للطامحين في التنعم بنعم الله وطلب مرضاة الله (خير رمضان ي ، **ذو القرنين القَائِد الفَاتح وَالحَاكم الصَّالِحُ دراَسَة تحليليّة مقارنة على ضوء القرآن والسّنة والتاريخ** ، 1994، ص 281- 283)

ومن هنا تبز عظمة الاستفادة من قصة ذي القرنين كونه نموذجًا حضاريًا بارزًا للاستخلاف والتمكين، والعدالة والحكمة في التعامل مع الشعوب الضعيفة، فقد اعتمد ذو القرنين في تمكينه على الجمع بين السلطة والرحمة، ولم تغره القوة بالظلم والاستغلال، وعمل بأسباب العلم والعمل لتطوير من حوله، ولم يحتكر العلم والتكنولوجيا، وسيرة ذي القرنين تدل على الإنسان القوي العليم، الذي يسخر القوى الكونية والمادية لخدمة الإنسان، ويملك أعظم مقدار من الأسباب والوسائل، ويوسع فتوحه ومغامراته، وهو في كل ذلكَ في أوج قوته وسلطته مؤمن بالآخرة، ساع لها مقر بضعفه، رحيم بالأمم الضعيفة، صالحاً ومصلحاً، ومنتصراً للحق، ناصراً للضعفاء، قاهراً للطغاة الأقوياء، يستخدم كل قوته وجهده ومواهبه، وجميع وسائله وذخائره، لخدمة الإنسانية وتكوين المجتمع الصالح، وإعلاء كلمة الله، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور؛ بالإيمان الراسخ، والعمل الصالح، والسيرة الفاضلة، والمقاصد الخيرة، والدعوة إلى الله،

واستخدام كل ما أوتيه من علم وحكمة في إسعاد البشرية (المرجع السابق، ص 290) بما يعكس إدراكًا حضاريًا لاستلهام هذا النموذج في السياسات الحديثة، ويصبح القصص القرآني مصدرًا للهداية ودليلًا عمليًا لبناء الحضارة العادلة والشاملة في الاستخلاف والعمران، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: 41]. إلا أن الغرب وفي واقعنا المعاصر غزانا في عقر دارنا وقتل الملايين، وأضعف عزائمنا وأصبحت حياتنا في أغلب جوانبها، بلون دخيل وغير مألوف تحت تأثير الفكر الغربي الذي أفقدنا شخصيتنا الإسلامية، وأعاق أفكارنا الحضارية وأعمالنا التقدمية، ونحتاج في واقعنا المعاصر إلى العودة إلى سالف عهدنا لقيادة العالم.

3. الاستدامة الحضارية في قصة يوسف:

تُعَدُّ قصة يوسف- عليه السلام- في القرآن الكريم من أروع النماذج القرآنية التي تجسّد ملامح الاستدامة الحضارية بكل أبعادها؛ فهي ليست مجردَ سرد لأحداث متتابعة، بل هي مدرسة حضارية متكاملة ترسم معالم النهوض، والصبر، والتخطيط، وإدارة الأزمات، وكيف يمكن للأفراد والمجتمعات أن يحافظوا على مقوماتِ النماء والاستمرار رغم التحديات، وذلك بالإيمان بالله، وحسن التدبير، والاعتماد على التخطيط بعيد الأمد، والحرص على المصلحة العامة، والمتأمل في القصة يرى أنها تكشف لنا من زاوية حضارية تحقيق التنمية المستدامة؛ سواء في مجال سياسات الاقتصاد، أو الإدارة، والقدرة على استغلال الموارد والاستدامة، واستشراف المستقبل، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: 3]، فمقصد القصة إدخال السلوى على المؤمنين حتى ولو كانوا في ابتلاءات، والبعد عن اليأسِ حتى ولو كانوا في ضعفٍ، والاتعاظ بقصص السابقين من الأنبياء والصالحين للاتعاظِ والاعتبار، والاعتصام بالله واللجوء إليه في كل الأحوال (قرموط، الإدارة في سورة يوسف عليه السلام دراسة موضوعية ، 2009 ، ص 20)، قال تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ

يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: 47 - 49]، فيوسف- عليه السلام- قدم رؤية اقتصادية استراتيجية قائمة على أبعاد الاستدامة الحضارية وإشراك الجميع في الإنتاج والاستثمار، وتقنين الاستهلاك، وتهيئة التخزين، وعمل موازنة بين أبعاد الاقتصاد الإنتاج والاستهلاك والتخزين بدقة ومتابعة سليمة فما يتم إنتاجه أولاً يستهلك أولاً حسب الكميات المطلوبة، وفي نهاية السنة السابعة من الرخاء يجب أن يكون قد استهلك إنتاج السنوات الثلاث الأولى، وموجود في أماكن التخزين إنتاج السنة الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة، ونبدأ بالاستهلاك من المخزون على أساس الذي ينتج أولاً يستهلك أولاً على حسب سنوات الجدب، بآلية تؤدي إلى تجاوز الأزمة من حيث الإنتاج والاستهلاك والادخار، وبطريق توقع ما ننتج وما نستهلك وما ندخر (قرموط، **الإدارة في سورة يوسف عليه السلام دراسة موضوعية** ، 2009 ، ص 90 – 97)، وتطبيق العدل في توزيع الثروات وحُسن إدارتها، قال تعالى : ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55]، وتظهر الاستدامة الحضارية في التعامل مع عدد السكان على مدار أربعة عشر عاما، والاعتماد على طرق زراعية أكثر فاعلية من الواقع السابق كي يتسنى إنتاج ما يغطي سنوات الجدب القادمة، وتجهيز مخازن للغلاتِ الزراعية على مدار سنوات الإنتاج السبع الأولى، وعمل موازنة بين الإنتاج والاستهلاك والتخزين للسنواتِ الخمس عشرة، والتركيز على القوى البشرية وخبرتها في الزراعة وفي الثروات الأخرى المساعدة، والاستفادة من الثرواتِ الطبيعية في عمل الزراعة، والعمل بقوانين وأنظمة في سنواتِ الجدب والمحافظة على المخزون الاستراتيجي (المرجع السابق ، 2009 ، ص 210)، وفي هذا درس بأنَّ حياةَ الدول لا تسير على وتيرة واحدة، بل تتأرجح بين فترة وأخرى ففيها فترات خصب وفترات قحط ورخاء وكساد وغنى وفقر، وبناء اقتصاد سليم يتطلب المحافظة على الموارد الأساسية ومنها الزراعة؛ كونها تحافظُ على المجتمع من خطر الجوع والفقر، وينبغي على المسؤولين أن يكونوا على مستوى عال من الوعي واليقظة؛ بحيث يدعمون الوسائل التي تكفل الحفاظ على الموازنة لعدة سنوات، لاستخدامها في سنوات الجدب، وحماية الناس من الكوارث الاقتصادية، وفيه أن التخطيط والاستدامة الحضارية تقوم على عاتق الحاكم الصالح الذي من خلاله يحصل التمكين الحضاري الشامل، وحسن استخدام السلطة لتحقيق النفع العام والانتشال من الانهيار الاقتصادي والاجتماعي، وتثبيت القيم الأخلاقية كأساسٍ للاستدامة

وهي بدورها أساسٌ لبقاء واستمرار كل مجتمع متحضر، ويوسف- عليه السلام- نموذجٌ للحكم الرشيد والإدارة الاقتصادية الحكيمة، في جوانب حضارية متعددة، شكلت الوعي، قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يوسف: 56]، فقد جسّدت قصته كيف يمكن للفرد المؤمن المتمسك بالقيم والمبادئ أن يتحول من عبدٍ سجين إلى قائد حكيم يدير شؤون الدولة ويواجه التحديات الكبرى بثبات ووعي، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: 54]. وهذه صيغة تولية جامعة لكل ما يحتاج إليه ولي الأمر من الخصال، لأن المكانة تقتضي العلم والقدرة إذ بالعلم يتمكن من معرفة الخير والقصد إليه، وبالقدرة يستطيع فعل ما يبدو له من الخير، والأمانة تستدعي الحكمة والعدالة، إذ بالحكمة يُؤْثِر الأفعالَ الصالحة ويترك الشهوات الباطلة، وبالعدالة يوصل الحقوق إلى أهلها، والثناء عليه تعريض بأنه يريد الاستعانة به في أمور مملكته وبأن يقترح عليه ما يرجو من خير (ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ، 1984، 13/ 8) ، وأراد يوسف- عليه السلام- أن يتحول من إنسان قومه، إلى إنسان مِصر، يبني ولا يهدم، يتجه نحو العقيدة الجامعة التي تجمع بين الدنيا والآخرة، فلا يترك العقيدة التي توصل إلى الله تعالى، ولا يحقر المادة في الصورة النظرية؛ باعتبارها مادة الكون الذي يعيش فيه، ولا يهدر خصائص إنسانيته ومقوماتها؛ فيفقد بسببها حريته وكرامته وعرضه (الصرايرة، **البناء الحضاري في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام**، 2010م ، ص 136)، فنِعَمُ الله على الإنسان أعلاها وأشرفها ما يوصل إلى السعادة الأخروية، ولا يمكن الوصول إلى ذلك إلا باكتساب الفضائل النفيسة واستعمالها بالعقل؛ وكماله العلم، والعفة؛ وكمالها الورع، والشجاعة؛ وكمالها المجاهدة، والعدالة؛ وكمالها الإنصاف، وتكمل النعم بالفضائل الدنيوية ومنها الصحة، والقوة، والجمال، وطول العمر، والمال، والأهل، والعز، وكرم العشيرة، ولا سبيل إلى تحصيل ذلك إلا بتوفيق الله تعالى؛ بأربعة أشياء: هدايته، ورشده، وتسديده، وتأييده (الراغب الأصفهاني، **الذريعة الى مكارم الشريعة الذريعة**، 2007 ، ص 107)، قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يوسف: 56، 57].

فلا يصلح أمر الناس إلا بأخلاق معهودة، وأعمال مستديمة، وإدارة راشدة، في حسن التدبير، وبهذا يظهر دور المصالح الشرعية التي فيها حفظ الدين والنفس والعقل والنسب والمال، فكل ما تضمن تحصيل شيء من هذه الأُمور فهو مصلحة، وكل ما يفوت شيئا منها فهو مفسدة ودفعه مصلحة، ولا خلاف في أن مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدنيوية، ليحصل لهم التمكن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصلتين إلى السعادة الأخروية (مجموعة من العلماء ، **التفسير الوسيط** ، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، 1993)، وفي سياقنا المعاصر تبرز الحاجة إلى تبني سياسات تنموية تحافظ على الحكم وتضمن العدالة الاجتماعية، لتفادي الانهيارات الحضارية الناجمة عن سوء الإدارة والتقصير في أداء الواجبات تجاه النعم الإلهية، وتبني برامج متكاملة لبناء الإنسان والمجتمع، وإدارة الأزمات، واستثمار الإمكانات البشرية والمادية لبناء مجتمعٍ متوازنٍ في أحلك الظروف، فقد واجه يوسف- عليه السلام- تحديات كبرى بدأت من تحديات واجهها بنفسه وتحمل كل الصعاب، وأزمات مجتمعية كبرى؛ سياسية واقتصادية كانت في مَصْر ذلك الزمان، لكنه استطاع من خلالِ الرؤية المستقبلية والبصيرة الإيمانية أن يضع خطة اقتصادية ذات أفق طويل الأمد تحفظ للمجتمع استقراره واستدامته، وتظهر ملامح الاستخلاف الراشد من خلال الجمع بين التمكين السياسي والعدالة الأخلاقية، فقد تسلّم منصب الوزارة لا حبًّا في السلطة، بل لتحقيق رسالة إصلاحية تنهض بالمجتمع وتُخرجه من الجوع والضياع، دون أن يتنازلَ عن قيم العفة والصبر والتوحيد، وهكذا جسدت القصة مبدأ الاستدامة الحضارية القرآنية، التي ترتكز على الإيمان، والعلم، والعدالة، والإنتاج، لتؤكد أن القرآن قدّم نماذج عملية قادرة على إلهام مسارات النهوض المعاصرة، ودرسا عمليًا لاستدامة الحضارة بالقيادة الحكيمة، والتخطيط الاقتصادي، وترسيخ القيم الأخلاقية والدينية، وهي أبعاد حيوية يجب أن تتكامل في كل مشروع حضاري يهدف إلى البقاء والتطور، مع ضرورة إعداد الكوادر القادرة على مواجهة الأزمات بوعي وشجاعة، ليبقى القرآن بذلك كتابًا يرسم خارطة طريق للأمم في الإدارة الاقتصادية الرشيدة، والاستدامة في إدارة الموارد المتاحة.

خامسا: الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات

-أهم النتائج:

1. يمثّل البناء الحضاري للقصص القرآني مدخلًا مقاصديًا معاصرًا لفهم النصوص القرآنية وتنزيلها على الواقع، وفق سنن الله في التمكين والعمران.
2. يمثّل البناء الحضاري للقصص القرآني البعد العملي في الخطاب القرآني، ويؤسس لنموذج إصلاحي شامل يتكامل فيه البعد العقدي والقيمي مع البناء المادي للمجتمع.
3. تعكس القِصص القرآنية المختارة (ذو القرنين، موسى، يوسف عليهم السلام) أبعادًا حضارية ثلاثية تتمثل في: الاستنهاض الحضاري، والتمكين العادل، والاستدامة الحضارية.
4. الإيمان بالله، والعمل الصالح، والرؤية المستقبلية، عناصر مركزية في البناء الحضاري في المنظور القرآني.
5. توقف البناء الحضاري في قصة موسى- عليه السلام- برغم القيادة النبوية يُبرز أهمية وجود أتباع مؤهلين بالإيمان الصادق، وبيئة مجتمعية مؤهلة.
6. يمثّل البناء الحضاري للقصص القرآني جسرًا للتفاعل بين النص القرآني ومتغيرات العصر، ويسهم في استعادة الفاعلية الحضارية للأمة.

-التوصيات:

1. الدعوة إلى تعزيز تدريس منهج البناء الحضاري للقَصص القرآني في كليات الشريعة والدراسات الإسلامية، وربطه بتخصصات السياسة والاقتصاد والاجتماع.
2. توجيه البحوث الأكاديمية لاستكشاف السنن في البناء الحضاري في القصص القرآني وتقديم نماذج قرآنية لبناء الدولة والمجتمع المعاصر.
3. تشجيع المؤسسات الدينية والثقافية على إبراز البناء الحضاري في مواجهة التحديات الفكرية المعاصرة.

4. بناء مناهج تفسيرية للقصة القرآنية تدمج بين مقاصد الشريعة والواقع المعاصر من خلال المقاصد والسنن الاجتماعية.
5. العمل على تفعيل القيم القرآنية في نظم الحكم والسياسة العامة من خلال برامج تدريبية ومناهج تربوية تستلهم نموذج الاستخلاف القرآني.
6. ضرورة إدراج مقاصد البناء الحضاري للقصة القرآنية كمكون رئيسي في مناهج الجامعات والمعاهد الشرعية، مع تطوير مقررات تربط بين النص القرآني ومتطلبات العصر.

References

Al-Quran Al-Karim and Kutub Al-Sunnah Al-Nabawiyyah Al-Sharifah.

Al-Ibrahim, Khalid Kamal, al-Qiyam al-Hadarīyah fī al-Qiṣṣah al-Qur'āniyyah Dirāsah Maudū'īyah (Jordan: Jam'īat al-Yarmūk, Risālah Duktūrāh fī al-Tafsīr wa 'Ulūm al-Qur'ān, 2013).

Al-Ibrahīmī, Muhammad bin Bashīr bin 'Umar, Āthār al-Imām Muhammad al-Bashīr al-Ibrahīmī, Jam' wa Taqdīm: Najluh al-Duktūr Ahmad Ṭālib al-Ibrahīmī (Dār al-Gharb al-Islāmī, 1st edition, 1997).

Ibn al-Ḥajjāj, Muslim, Ṣaḥīḥ Muslim, Taḥqīq: Muhammad Fu'ād 'Abd al-Bāqī (Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-‘Arabī).

Ibn Taymiyyah, Ahmad bin 'Abd al-Ḥalīm, al-Amr bi-l-Ma'roof wa-l-Nahy 'an al-Munkar (Saudi Arabia: Ministry of Islamic Affairs and Endowments, 1st edition, 1418).

Ibn Taymiyyah, Ahmad bin 'Abd al-Ḥalīm, Majmū' al-Fatāwā, Taḥqīq: 'Abd al-Raḥmān bin Muhammad bin Qāsim (al-Madīnah al-Nabawīyah: Majma' al-Malik Fahd li-Ṭibā'ah al-Muṣḥaf al-Sharīf, 1995).

Ibn al-Bayyā', Abū 'Abd Allah al-Ḥākim Muhammad bin 'Abd Allah al-Ḥakam al-Ḍubbī, al-Mustadrak 'alā al-Ṣaḥīḥayn li-l-Ḥākim Taḥqīq: Muṣṭafā 'Abd al-Qādir 'Aṭā (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1st edition, 1990).

Ibn Jamā'ah, Abū 'Abd Allah, Muhammad bin Ibrāhīm, Taḥrīr al-Aḥkām fī Tadbīr Ahl al-Islām, al-Muḥaqqiq: Qaddam Lahu: al-Shaykh 'Abd Allah bin Zayd Āl Maḥmūd, Taḥqīq wa-Dirāsah wa-Ta'līq: Dr. Fu'ād 'Abd al-Mu'īn Aḥmad (Qatar: Dār al-Thaqāfah bi-Tafwīḍ min Ra'āsat al-Maḥākim al-Shar'īyah, 3rd edition, 1988).

Ibn Khaldūn, 'Abd al-Raḥmān bin Muḥammad, Tārīkh Ibn Khaldūn, Taḥqīq: Khalīl Shaḥādah (Beirut: Dār al-Fikr, 2nd edition, 1408 AH, 1988 CE).

Ibn 'Āshūr, Muhammad al-Ṭāhir, al-Taḥrīr wa-l-Tanwīr (Tunis: Dār al-Tūnīsīyah li-l-Nashr, 1984).

Ibn 'Āshūr, Muhammad al-Ṭāhir, Maqāṣid al-Sharī'ah al-Islāmīyah, Taḥqīq: Muhammad al-Ḥabīb Ibn al-Khūjah, Qatar: Ministry of Endowments and Islamic Affairs, 1425 - 2004.(

Ibn 'Abd al-Salām, Abū Muḥammad 'Izz al-Dīn 'Abd al-‘Azīz, Qawā'id al-Aḥkām fī Maṣāliḥ al-Anām (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1414, 1991).

Ibn Kathīr Abū al-Fidā' Ismā'īl bin 'Umar bin Kathīr al-Qurashī, Tafsīr al-Qur'ān al-‘Aẓīm, Taḥqīq: Muhammad Ḥusayn Shams al-Dīn (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1st edition, 1419).

Ibn Manẓūr, Muhammad bin Makram bin 'Alī, Lisān al-‘Arab (Beirut: Dār Ṣādir, 3rd edition, 1414).

Abū al-Su'ūd al-‘Amādī, Muhammad bin Muhammad bin Muṣṭafā, Irshād al-‘Aql al-Salīm ilā Mazāyā al-Kitāb al-Karīm (Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-‘Arabī).

Abū Dāwūd, Sulaymān bin al-Ash'ath, Sunan Abī Dāwūd, Taḥqīq: Muhammad Muḥyī al-Dīn 'Abd al-Ḥamīd (Beirut: al-Maktabah al-‘Aṣrīyah).

Ḥawwā, Sa'īd, al-Asās fī al-Tafsīr (Cairo: Dār al-Salām, 6th edition, 1424).

Al-Tirmidhī, Muhammad bin 'Īsā, Sunan al-Tirmidhī, Ibrāhīm 'Aṭwah Sharīkat Maktabah wa Maṭba'ah Muṣṭafā (Egypt: al-Bābī Ḥalabī, 2nd edition, 1975).

Al-Tha'labī, 'Abd al-Malik bin Muhammad bin Ismā'īl, Abū al-Ṭayyib al-Mutanabbī wa Mā Lahu wa Mā 'alayh (Taḥqīq: Muhammad Muḥyī al-Dīn 'Abd al-Ḥamīd (Cairo: Maktabah al-Ḥusayn al-Tijāriyyah.(

Ḥasan, 'Abbās Faḍl, al-Tafsīr wa-l-Mufassirūn fī al-‘Aṣr al-Ḥadīth (Jordan: Dār al-Nafā'is li-l-Nashr wa-l-Tawzī', 1st edition, 2016).

Al-Ra'ī, Tawfīq Yūsuf, al-Ḥaḍārah al-Islāmīyah Muqāranah bi-l-Ḥaḍārah al-Gharbīyah (Egypt: Dār al-Wafā', 1988).

Al-Rāghib al-Aṣfahānī, Abū al-Qāsim al-Ḥusayn bin Muhammad, al-Dharī'ah ilā Makārim al-Sharī'ah, Taḥqīq: Dr. Abū al-Yazīd Abū Zayd al-‘Ajmī (Cairo: Dār al-Salām, 2007).

Riḍā, Muhammad Rashīd bin 'Alī, Tafsīr al-Manār (al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah li-l-Kitāb, 1990).

Ramadān, Muhammad Khayr, Dhawū al-Qarīn al-Qā'id al-Fātiḥ wa-l-Ḥākim al-Ṣāliḥ Dirāsah Taḥlīlīyah Muqāranah 'alā ḍaw' al-Qur'ān wa-l-Sunnah wa-l-Tārīkh (Beirut: Dār al-Qalam, 2nd edition, 1994).

Zarmān, Muhammad, Ibn Bādīs fī Tadabbur al-Qur'ān wa Atharuh fī Nahdat al-Ummah (Algeria, University of Batna).

Al-Sa'dī, 'Abd al-Raḥmān bin Nāṣir, Taysīr al-Karīm al-Raḥmān, Taḥqīq: 'Abd al-Raḥmān bin Ma'lā al-Lawīḥiq (Maktabah al-Risālah, 1st edition, 2000).

Al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn 'Abd al-Raḥmān bin Abī Bakr, al-Itqān fī 'Ulūm al-Qur'ān, Taḥqīq: Muhammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm (al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-‘Āmmah li-l-Kitāb, 1974).

Al-Shāṭibī, Ibrāhīm bin Mūsā bin Muhammad, al-I'tisām li-l-Shāṭibī, Taḥqīq: Hishām bin Ismā'īl (Saudi Arabia: Dār Ibn al-Jawzī li-l-Nashr wa-l-Tawzī', 1st edition, 1429 - 2008).

Shalabī, Ayman 'Abd al-Laṭīf, al-Binā' al-Ḥadarī fī al-Qiṣṣah al-Qur'āniyyah (Jordan: al-Jāmi'ah al-Urdunīyah, Risālah Duktūrāh fī al-Tafsīr, 2012).

Al-Ṣarīrah, Ṭālib Muhammad 'Abd al-Qādir, al-Binā' al-Ḥadarī fī Sūrat Yūsuf 'alayh al-Salām, al-Majallah al-Urdunīyah li-l-Dirāsāt al-Islāmīyah, al-Majallad al-Sādis al-‘Adad 2, 2010.(

Al-Ṭabarānī, Sulaymān bin Aḥmad bin Ayūb, al-Mu'jam al-Awsat, Taḥqīq: Ṭāriq bin 'Awadh Allāh bin Muhammad, 'Abd al-Muḥsin bin Ibrāhīm al-Ḥusaynī (Cairo: Dār al-Ḥaramayn).

Al-Turṭūshī, Abū Bakr Muhammad bin Muhammad bin al-Walīd, Sirāj al-Mulūk (Egypt, 1872).

Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muḥammad bin Muḥammad, Iḥyā' 'Ulūm al-Dīn (Beirut: Dār al-Ma'rifah).

Al-Qaraḍāwī, Yūsuf, Dirāsah fī Fiqh Maqāṣid al-Sharī'ah bayna al-Kullīyah wa-l-Naṣūṣ al-Juz'īyah (Cairo: Dār al-Shurūq, 2008).

Al-Qurṭubī, Abū 'Abd Allah Muḥammad bin Aḥmad bin Abī Bakr bin Farḥ al-Anṣārī, Tafsīr al-Qurṭubī, Taḥqīq: Aḥmad al-Bardūnī wa Ibrāhīm Aṭfīsh (Cairo: Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, 2nd edition, 1964).

Qarmūṭ, Nā'if Sha'bān 'Abd Allāh, al-Idārah fī Sūrat Yūsuf 'alayh al-Salām Dirāsah Maudū'īyah Ghazzah Risālah Mājistīr fī al-Jāmi'ah al-Islāmīyah - Kullīyat 'Ulūm al-Dīn Qism al-Tafsīr wa 'Ulūm al-Qur'ān, 2009.(

Al-Quḍā'ī, Abū 'Abd Allāh Muḥammad bin Salāmah bin Ja'far, Musnad al-Shihāb al-Quḍā'ī, Taḥqīq: Ḥamdī bin 'Abd al-Majīd (Beirut: Mū'assasah al-Risālah, 2nd edition, 1986).

Quṭb, Sayyid, Fī Ẓilāl al-Qur'ān (Cairo, Dār al-Shurūq, 34th edition, 2004).

Al-Kurawī, Ibrāhīm Salmān, al-Marja' fī al-Ḥaḍārah al-‘Arabīyah al-Islāmīyah (Alexandria: Markaz al-Iskandarīyah li-l-Kitāb, 1999).

Majmū'ah min al-‘Ulamā' bi-Ishrāf Majma' al-Buḥūth al-Islāmīyah bi-l-Azhar, al-Tafsīr al-Wasīṭ (al-Hay'ah al-‘Āmmah li-Shu'ūn al-Maṭābi' al-Amīrīyah, 1st edition, 1414 - 1993).

Maḥmūd, 'Alī 'Abd al-Ḥalīm, al-Tarājū' al-Ḥadarī fī al-‘Ālam al-Islāmī wa-Ṭarīq al-Taghallub 'alayh (Egypt: Dār al-Wafā' li-Ṭibā'ah wa-l-Nashr wa-l-Tawzī', 1st edition, 1994).

Al-Mazīnī, Khalid bin 'Abd Allāh, Tajdīd Fiqh al-Siyāsah al-Shar'īyah al-Shūrā Namūdhajan (Beirut: Markaz Namā' li-l-Buḥūth wa-l-Dirāsāt, 1st edition, 2013).

Al-Manāwī, Zayn al-Dīn Muḥammad al-Mad'ū bi-‘Abd al-Ra'ūf, Faīḍ al-Qadīr (Egypt: al-Maktabah al-Tijārīyah al-Kubrā, 1st edition, 1356).

Al-Mawdūdī, Abū al-‘Ālā, Waq' al-Muslimīn wa-Sabil al-Nuhūd bihim (Damascus: Maktabah al-Shabāb al-Muslim).

Al-Najjār, 'Abd al-Majīd, Maqāṣid al-Sharī'ah bi-Ab'ād Jadīdah (Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī, 2nd edition, 2008).

Al-Nawawī, Abū Zakariyyā' Muḥyī al-Dīn Yaḥyā bin Sharaf, Sharḥ al-Nawawī 'alā Muslim al-Minhāj Sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim bin al-Ḥajjāj (Beirut: Dār Iḥyā' al-Turāth al-‘Arabī, 2nd edition, 1392).

Magazines and Websites:

As'ad, 'Alī, Maqāṣid Qur'ānīyah Yanāṭ bihā al-Tamkīn al-Usarī (Majallat Jāmi'ah Dimashq li-l-‘Ulūm al-Iqtiṣādīyah wa-l-Qanūnīyah– al-Majallad 26 al-‘Adad: 2, 2010).

Ṣabri, Mas'ūd, Naḥw Tafsīr Ḥadarī li-l-Qur'ān al-Karīm (Ḥaḍārah, al-‘Adad: 552, 2011).

Quraybah, Muhammad 'Iyād, al-Binā' al-Ḥadarī fī al-Qur'ān al-Karīm (al-Majallah al-Jāmi'ah, al-‘Adad: 10, 2008).

Al-Najjār, 'Abd al-Majīd, Maqāṣid al-Qur'ān fī Binā' al-Fikr al-‘Umārānī (Majallat al-Fikr al-Islāmī al-Mu'āṣir, al-‘Adad: 89, 2017).

Al-Būzī, Muhammad, al-Taqwā wa-l-‘Umārān al-Ḥadarī fī al-Qur'ān 2009, Mawqi' al-Alūkah, https://www.alukah.net/sharia/0/6447

Al-Nadwī, Muhammad, Asbāb Inḥiṭāṭ al-Ummah al-Islāmīyah: Dirāsah Muqāranah bayna Mādhā Khasir al-‘Ālam, wa-Līmādhā Ta'akhkhara al-Muslimūn wa-Taqaddama Ghayruhum

https://albasulislami.com

Ja'far Shaykh Idrīs, al-Da'wah al-Islāmīyah wa-l-Ghazwā al-Fikriy, al-Mawqi,'

https://jaafaridris.com/books/show/24

‘Abd al-Bāsiṭ bin 'Īsā, al-Tafsīr al-Ḥadarī li-l-Qur'ān al-Karīm,[https://www.youtube